

זאת לחז الأسباط

סיפור שופטים



الشيخ عايّ حسن غلوم

السَّيِّحُ عَلِيُّ حَسَنٍ غُلُومٌ

فَكَ لَخَزْ

الْأَسْبَاطُ



المركز الإسلامي الثقافي
النجف الأشرف



ديباجة

دعماً للجهود المباركة التي بدأها السيد الأستاذ شفيق الموسوي -
المركز الإسلامي الثقافي / النجف الأشرف - والهادفة لنشر فكر
وثقافة أهل البيت «عليهم السلام» أثناء المسيرة المليونية لأربعينية
الإمام الحسين «عليه السلام»، وذلك بإقامة معرض كتاب لمدرسة
أهل البيت، تم إصدار سلسلة كتيبات لسماحة الشيخ علي حسن
غلوم يعرض فيها أقوال ومواقف رسول الله والأئمة الإثني عشر
«عليهم أفضل الصلاة والسلام»، وقد أصدر هذا العام خمسة
كتيبات، بدأ فيها برسول الله، وانتهى بالإمام الحسين، وضمّنها
بعضاً من خطبة ومقالاته، على أن تكتمل السلسلة المباركة في
الأعوام اللاحقة.

إننا إذ نقدّم هذا العمل، فإننا نأمل في أن يكون نموذجاً يُحتذى
به لخدمة مدرسة أهل البيت «عليهم السلام»، وأن يكون موضع
تنافس ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.



﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا
نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

سورة آل عمران: ٨٤

(حسین منی وأنا من حسین، أحبَّ الله من
أحبَّ حسیناً، حسین سبط من الأسباط).

النبي الأكرم ﷺ

المحتويات

٧	 المقدمة
١٣	 الفصل الأول: مصادر الحديث
٢٥	 الفصل الثاني: الأسباط في القرآن
٢٨	 من كتب التفسير عند أهل السنة
٣١	 من كتب التفسير عند الشيعة
٤١	 استخلاص نتائج أقوال المفسرين
٤٥	 الفصل الثالث: سفر الأسباط
٥١	 سفر القضاة
٥٨	 وصايا ومخالفات
٦٤	 تحريف الكتاب
٧٦	 إنجازات الأسباط
٨٠	 نبوة المرأة
٩١	 الفصل الرابع: خلاصة وخاتمة
٩٤	 مصادر الكتاب

المقدمة

الحمد لله الأول فلا شيء قبله، والآخر فلا شيء بعده، والظاهر فلا شيء فوقه، والباطن فلا شيء دونه. ثم الصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله، القائم بأمره والحافظ لعهدده والماضي على نفاذ أمره، وعلى آله الأطهار المصطفين الأخيار.

روت مصادر إسلامية عديدة، وبألفاظ فيها شيء بسيط من الاختلاف قول النبي الأكرم ﷺ: (الحسن والحسين سبطان من الأسباط) .. (حسين سبط من الأسباط). وعند العودة إلى محاولات العلماء والمحققين لتحديد مَنْ هم المعنيون بـ **الأسباط** في هذا الحديث، لم أجد شيئاً مُقنعاً يوضح بالدقة مراد النبي ﷺ وإلى ماذا يُشير.

وكان هذا دافعاً لي للبحث في مصادر أهل الكتاب لعلّي أجد رأس الخيط الذي يقودني إلى الإجابة. وبحمد الله عزَّ وجلَّ وفضله، وفي أثناء الإعداد لخطبة الجمعة لبداية شهر محرم لسنة ١٤٣٩ هـ والتي خصَّصتها لتناول الحديث السابق، ومع قليل من المطالعة في العهد القديم من الكتاب المقدَّس، وبعض المواقع اللغوية والدينية باللغة الإنجليزية؛ والإنجليزية - العبرية - العربية المقارنة على شبكة الإنترنت، توصلت إلى النتيجة التي سأعرضها في هذا الكُتيب الذي أسميته **فك لغز الأسباط**.

وكان رأس الخيط الذي قادني للتوصل إلى النتيجة بوقت زمني قصير

جداً هو افتراض ما يلي: النبي موسى عليه السلام يقابل النبي محمد ﷺ.. وأسفار التوراة الخمسة هي أول العهد القديم؛ ثم الوصي يوشع بن نون عليه السلام يقابل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.. وسفر يوشع «يشوع» يأتي مباشرة بعد التوراة في ترتيب العهد القديم.. إذاً لابد من أن السفر اللاحق لسفر يشوع مباشرة له علاقة بـ **الأسباط** الذين أشار إليهم النبي ﷺ في مقابل الحسن والحسين ولربما باقي أمة أهل البيت عليهم السلام أيضاً. أي أن **الأسباط** الذين يشير إليهم النبي في الحديث لهم ذكر في هذا السفر.

وعند الرجوع إلى كتاب العهد القديم، كان السفر التالي لسفر يشوع هو سفر القضاة.. فمن هم القضاة؟ ولماذا أخذوا هذا العنوان؟ وكم هو عددهم؟ وما مدى احتمال أن يكونوا هم **الأسباط** المشار إليهم في الحديث النبوي؟ وماذا كانت مهمتهم والأدوار التي قاموا بها لكي يذكر النبي ﷺ أن الحسن والحسين عليهما السلام يمثلان الامتداد لأولئك **الأسباط**؟ أو لكي يشبههما بـ **الأسباط** من حيث الدور والمسؤوليات المناطة بهما؟

هذه التساؤلات جعلتني على مسار في البحث قادني إلى نتائج عرضتها في خطبتي جمعة من على منبر مسجد سيد هاشم بهبهاني في الكويت، الأولى كانت بتاريخ الثاني من محرم ١٤٢٩هـ، والأخرى في السادس عشر منه، وتمّ بثهما أيضاً على قناة اليوتيوب الخاصة بالمسجد.

وهذا الكتيب يسعى لتقديم الإجابات العلمية على تلك التساؤلات، وتساؤلات أخرى عديدة تكمل صورة البحث بإذن الله عز وجل، بما يحقق الغرض الأساس من نشره وهو فك لغز **الأسباط**.

علماً بأنني لا أستطيع الادّعاء أنه لم يسبقني أحد إلى هذه النتيجة،

ولكنني لم أطلع على شيء من هذا خلال بحثي وقراءاتي السابقة والممتدة لسنوات طويلة.

وأؤكد مرة أخرى أن هذا البحث العلمي ونتائجه قد تم بفضل الله عَزَّجَلْ وَمَنَّهُ، ولعلَّه جاء استجابةً لدعاءٍ اعتدتُ تكراره في ليلة القدر من كلِّ عامٍ، وفي يوم التاسع من ذي الحجة على أرض عرفات في كلِّ موسم حجٍّ، بأن يفتح لي الله عَزَّجَلْ أبواب العلم، وأن يوفّقني للمزيد من المعرفة، وأن يبصّرني بما خفي عني من أمر ديني؛ ولطالما تلمّستُ نتائج هذا الدعاء.. إنَّه ذو منٍّ عظيم، وأسأله عَزَّجَلْ أن يكون هذا العمل سبباً لنيل مرضاته، وطريقاً لمزيد من المعارف الدينية التي تُثري المكتبة الإسلامية والمعرفة الإيمانية، فإنَّ أصبت فله الحمد، وإنَّ أخطأت فإنِّي أسأله العفو، وهو وليُّ التوفيق.

علي حسن غلوم علي

الكويت : ١٨ من محرم ١٤٣٩ هـ

الموافق: ٨ أكتوبر ٢٠١٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مصادر الحديث

روي قول النبي الأكرم ﷺ: (الحسن والحسين سبطان من الأسباط) وقوله ﷺ: (الحسين سبط من الأسباط) في العديد من مصادر المسلمين، وفيما يلي قائمة ببعض تلك المصادر، وبالألفاظ المختلفة التي وردت فيها، وأبدأ بمصادر إخواننا من أهل السنة والجماعة:

(١) مسند أحمد بن حنبل: (حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن أبي راشد، عن يعلى العامري^(١)، أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دعوا له، قال: فاستمثل رسول الله ﷺ قال عفان: قال وهيب: فاستقبل رسول الله ﷺ أمام القوم، وحسين مع غلمان

(١) يعلى بن مرة العامري، أسلم وشهد مع رسول الله الحديبية وبَيْعَةَ الرضوان وخيبر وفتح مكة والطائف وحُنيناً، وكان فاضلاً. سكن الكوفة، وكان من أنصار أمير المؤمنين علي عليه السلام.

يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه. قال: فطفق الصبي يَفِرُّ هاهنا مرّةً، وهاهنا مرّةً، فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتى أخذه. قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه، والأخرى تحت ذقنه، فوضع فاه على فيه، فقبّله، وقال: «حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(١).

(٢) سنن ابن ماجه: (حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب. ثنا يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن أبي راشد: أن يعلّى بن مرّة حدّثهم أنهم خرجوا مع النبي ﷺ إلى طعام دُعوا له. فإذا حسين يلعب في السكّة. قال: فتقدّم النبي ﷺ أمام القوم، وبسط يديه. فجعل الغلام يَفِرُّ ههنا وههنا. ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه. فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى في فأس رأسه فقبّله. وقال: «حسين مني، وأنا من حسين. أحبّ الله من أحبّ حسيناً. حسين سبط من الأسباط». حدثنا علي بن محمد. ثنا وكيع، عن سفيان مثله. في الزوائد: إسناده حسن. رجاله ثقات)^(٢).

(٣) سنن الترمذي: (حدثنا الحسن بن عرفة. أخبرنا إسماعيل بن عياش. عن عبد الله بن عثمان بن خثيم. عن

(١) أحمد بن حنبل: المسند، رقم الحديث: ١٧٢٢٠.

(٢) محمد بن يزيد بن ماجه: السنن، رقم الحديث: ١٤٤.

سعيد بن راشد. عن يعلى بن مَرَّة قال: قال رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط». هذا حديث حسن^(١). قال المباركفوري في شرح سنن الترمذي: (قوله: «حسين مني وأنا من حسين» قال القاضي: كأنه ﷺ علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم، فخصه بالذكر، وبَيَّنَ أنهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة، وأكد ذلك بقوله «أحب الله من أحب حسيناً» فإن محبته محبة الرسول، ومحبة الرسول محبة الله «حسين سبط» بالكسر «من الأسباط» قال في النهاية: أي أمة من الأمم في الخير. والأسباط في أولاد إسحاق بن إبراهيم الخليل بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، وأحدهم سبط فهو واقع على الأمة، والأمة واقعة عليه. انتهى. وقال القاضي: السبط: ولد الولد، أي هو من أولاد أولادي، أكد به البعضية وقررها. ويقال للقبيلة. قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا»^(٢) أي قبائل، ويحتمل أن يكون المراد هنا على معنى أنه يتشعب منه قبيلة، ويكون من نسله خلق كثير، فيكون إشارة إلى أن نسله يكون أكثر وأبقى، وكان الأمر كذلك^(٣).

(١) محمد بن عيسى الترمذي: السنن، رقم الحديث: ٢٨٦٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٠.

(٣) محمد بن عبد الرحمن المباركفوري: تحفة الأحوذ في شرح سنن الترمذي، في شرح الحديث برقم ٣٧٧٥.

٤) المستدرك على الصحيحين: (حدثني محمد بن صالح ابن هانئ ثنا الحسين بن الفضل البجلي ثنا عفان ثنا وهيب ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى العامري: أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دعوا له قال فاستقبل رسول الله ﷺ أمام القوم وحسين مع الغلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه، فطفق الصبي يفرُّ هاهنا مرّة، وها هنا مرّة، فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتى أخذه. قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه، فوضع فاه على فيه يُقبّله، فقال: «حُسين مني، وأنا من حُسين. أحبُّ الله مَنْ أحبَّ حُسيناً. حُسين سبطٌ من الأسباط». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(١).

ه) صحيح الأدب المفرد: (عن يعلى بن مرة أنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في الطريق فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه فجعل الغلام يفرُّ ههنا وههنا ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه ثم قال النبي ﷺ: «حُسين مني، وأنا من حُسين. أحبُّ الله مَنْ أحبَّ حُسيناً. حُسين سبطٌ من الأسباط». حسن. الصحيحة (١٢٢٧)^(٢).

(١) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، رقم الحديث: ٤٨٢٠.

(٢) ناصر الدين الألباني: صحيح الأدب المفرد للبخاري، رقم الحديث: ٣٦٤/٢٧٩.

(٦) صحيح ابن حبان: (أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا وهيب بن خالد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى العامري: أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دُعوا له فإذا حسين مع الصبيان يلعب، فاستقبل أمام القوم ثم بسط يده فجعل الصبي يفرها هنا مرة، وها هنا مرة، وجعل رسول الله ﷺ يضحكه، حتى أخذه رسول الله ﷺ فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفاه ثم قنّع رأسه فوضع فاه على فيه فقَبَّله وقال: «حُسين منِّي، وأنا من حُسين. أَحَبَّ الله مَنْ أَحَبَّ حُسيناً. حُسين سَبَطُ من الأسباط»^(١)).

كانت النصوص السابقة مجرد نموذج مما ورد في كتب علماء أهل السنة، ويمكن أن نضيف إلى المصادر السابقة مصادر أخرى عديدة، وقد أورد القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي المستري في موسوعته «إحقاق الحق وإزهاق الباطل» وكذلك شارح الموسوعة وهو السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي الكثير من تلك المصادر، كما ذكرنا نماذج من نفس النصوص وذلك في الأجزاء «١٠، ١١، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٣٣». ففي الجزء العاشر من «شرح إحقاق الحق» تحت عنوان: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط. سبطا هذه الأمة»:

(ونروي في ذلك أحاديث: الأول حديث يعلى بن مرة. روى عنه جماعة من أعلام القوم: منهم الحافظ محمد بن

(١) محمد بن حَبَّان: صحيح ابن حَبَّان بترتيب ابن بلبان، رقم الحديث: ٦٩٧١.

إسماعيل البخاري في «التاريخ الكبير» ج ٤ قسم ٢ ص ٤١٥
 ط حيدر آباد، قال: قال: عن يعلى بن مرة قال: قال رسول
 الله ﷺ: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط»^(١).
 ومنهم العلامة ابن كثير الدمشقي في «البداية والنهاية»
 ج ٨ ص ٢٠٦ ط مصر. روى من طريق الطبراني عن بكر
 بن سهل، عن عبد الله بن صالح، عن معاوية ابن صالح بن
 راشد بن سعد، عن يعلى بن مرة بعين ما تقدم عن «التاريخ
 الكبير». ومنهم العلامة ابن حجر الهيتمي في «الصواعق
 المحرقة» ص ١٩٠ ط عبد اللطيف بمصر. روى من طريق
 البخاري في «الأدب المفرد» والترمذي وابن ماجة عن يعلى
 بن مرة بعين ما تقدم عن «التاريخ الكبير». ومنهم العلامة
 السيد إبراهيم بن محمد الحسيني المشتهر بابن حمزة
 في «البيان والتعريف» ج ٢ ص ٢٣. روى الحديث بعين ما
 تقدم عن «التاريخ الكبير». ومنهم العلامة نور الدين علي
 بن أبي بكر الهيتمي في «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٨١ ط
 القدسي بمصر. روى الحديث عن يعلى بعين ما تقدم عن
 «التاريخ الكبير». ومنهم العلامة السيوطي في «الجامع
 الصغير» ج ٢ ص ٥٠٦ ط مصر. روى الحديث عن يعلى بعين
 ما تقدم عن «التاريخ الكبير». ومنهم العلامة المولى علي

(١) جاء في «صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته» لناصر الدين الألباني برقم ٥٤٥٧: «(حسن
 مني وأنا منه أحب الله من أحب حسينا، الحسن والحسين سبطان من الأسباط)..... عن يعلى بن
 مرة. قال الشيخ الألباني: «حسن». انظر حديث رقم: ٢١٤٦ في صحيح الجامع»).

المتقي الهندي في «كنز العمال» ج ١٣ ص ١٠٥ ط الثانية
 في حيدر آباد الدكن. روى الحديث من طريق الطبراني
 وأبي نعيم وابن عساكر، عن يعلى بعين ما تقدم عن «التاريخ
 الكبير». ومنهم العلامة المذكور في «منتخب كنز العمال»
 المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ١٠٩ ط الميمنية بمصر.
 روى الحديث فيه أيضاً بعين ما تقدم عن «التاريخ الكبير».
 ومنهم العلامة البدخشي في «مفتاح النجاء» ص ١١٢
 المخطوط. روى الحديث من طريق البخاري في «الأدب
 المفرد» وابن ماجه والطبراني في «الكبير» وأبي نعيم وابن
 عساكر عن يعلى بن مرة بعين ما تقدم عن «التاريخ الكبير».
 ومنهم العلامة الآمرتسري في «أرجح المطالب» ص ٣٠٣
 ط لاهور. روى الحديث من طريق البخاري والترمذي
 وابن ماجه عن يعلى بعين ما تقدم عن «التاريخ الكبير».
 ومنهم العلامة السيد إبراهيم الشهير بابن حمزة الحسيني
 الحنفي في «البيان والتعريف» ج ٢ ص ٢٣ ط حلب. روى
 الحديث من طريق البخاري في «الأدب» والترمذي، وابن
 ماجه، والحاكم عن يعلى بن مرة بعين ما تقدم عن «التاريخ
 الكبير» وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة. ومنهم العلامة
 القندوزي في «ينابيع المودة» ص ١٨٣ ط إسلامبول. روى
 الحديث بعين ما تقدم عن «التاريخ الكبير». ومنهم العلامة
 المعاصر الشيخ يوسف النبهاني في «الفتح الكبير» ج ٢ ص
 ٧٢ ط مصر قال: قال رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا منه

أحب الله من أحب حسيناً، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»..... عن يعلى بن مرة. ومنهم العلامة منصور بن علي ناصف في «التاج الجامع للأصول» ج ٣ ص ٣١٨ ط القاهرة. روى الحديث عن يعلى بعين ما تقدم عن «الفتح الكبير». ومنهم العلامة الخوارزمي في «مقتل الحسين» ص ١٤٦ ط الغري. قال: وذكر أحمد بن الحسين برواية أخرى عن يعلى العامري فقال: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط». ومنهم العلامة الجزري في «النهاية» ج ٢ ص ١٥٣ ط الخيرية بمصر قال: ومنه الحديث الآخر: «الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ»..... الثاني: حديث أبي أيوب الأنصاري، رواه جماعة من أعلام القوم: منهم الحافظ الطبراني في «المعجم الصغير» ص ١٨، ط الدهلي، قال: ثنا أحمد بن محمد بن العباس المري القنطري، ثنا حرب بن الحسن الطحان ثنا حسين بن الحسن الأشقر، ثنا قبس بن الربيع، عن الأعمش، عن حباية يعني ابن ربيعي، عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو ابن عم أبيك جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة، الحسن والحسين وهما ابناك، ومنا المهدي». ومنهم العلامة محب الدين الطبري في «ذخائر العقبى» ص ٤٤ ط مكتبة القدسي بمصر. روى الحديث من طريق الطبراني في «المعجم

الصغير» عن أبي أيوب بعين ما تقدم عنه بلا واسطة. ومنهم العلامة ابن حجر الهيتمي في «الصواعق» ص ٩٨ ط مصر. روى الحديث من طريق الطبراني بعين ما تقدم عن «المعجم الصغير». الثالث: حديث ابن عباس، رواه جماعة من أعلام القوم: منهم الحافظ جلال الدين السيوطي في «الجامع الصغير» ج ٢ ص ٣٥٥ ط مصر. روى من طريق الخطيب وابن عساكر، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: «لكل شيء سبط، وسبط هذه الأمة الحسن والحسين» إلى أن قال: «ولكل شيء مَجَنٍّ^(١)، ومَجَنٌّ هذه الأمة علي بن أبي طالب». ومنهم العلامة النبهاني في «الفتح الكبير» ج ٣ ص ٢٣، روى الحديث من طريق الخطيب وابن عساكر، عن ابن عباس بعين ما تقدم عن «الجامع الصغير»^(٢).

وورد الحديث أيضاً في مصادر الشيعة، فمن المصادر الإسماعيلية نذكر المثال التالي:

شرح الأخبار: (عبد الله بن صالح، بإسناده، عن يعلی ابن مَرَّة، أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ نمشي، فإذا الحسين عليه السلام وهو صبي صغير يلعب. فبسط رسول الله ﷺ يديه نحوه، فجعل الحسين يُمُرُّ مَرَّةً هاهنا، ومَرَّةً هاهنا، ويُضاحك رسول الله ﷺ حتى أخذه رسول الله ﷺ

(١) المجن: الترس، والترس: صفحة من الفولاذ مستديرة أو بيضية الشكل تحمل لوقاية الوجه والرأس من الضربات.

(٢) المرعشي النجفي: شرح إحقاق الحق، ج ١٠، ص ٦٣٥-٦٤٢.

فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى عند رأسه، وأهرى إليه، فقبله، واعتنقه. ثم قال: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّهُ». ثم قال: «الحسنُ والحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ الْأَسْبَاطِ»^(١).

عن تغلب بن مُرّة، قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ)^(٢).

ومن المصادر الزيدية نذكر المثال التالي:

مآثر الأبرار المؤلف: (عن النبي أنه قال: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»)^(٣).

ومن المصادر الإمامية نكتفي بالمثالين التاليين:

(١) كامل الزيارة: (حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبي سعيد الحسن بن علي بن زكريا العدوي البصري، قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد البرسي، قال: حدثنا وهب، عن عبد الله بن عثمان، عن سعيد بن أبي راشد، عن يعلى العامري أنه خرج من عند رسول الله ﷺ إلى طعام دعي إليه، فإذا هو بحسين عليه السلام يلعب مع الصبيان، فاستقبل

(١) القاضي النعمان المغربي: شرح الأخبار، ج ٣، ص ٨٨، رقم الحديث ١٠١٥.

(٢) القاضي النعمان المغربي: شرح الأخبار، ج ٣، ص ١١٢، رقم الحديث ١٠٥٠. والصحيح «يعلى».

(٣) ابن قند محمد بن علي الصعدي: مآثر الأبرار، ج ١، ص ٢٥٣.

النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يديه فطفر الصبي هاهنا مرّة، وهاهنا مرة، وجعل رسول الله ﷺ يُضاحكه حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفائه، ووضع فاه على فيه وقَبَلَه، ثم قال: «حُسَيْنٌ مِنِّي وأنا من حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سَبَطُ مِنَ الْأَسْبَاطِ»^(١).

(٢) أمالي المرتضى تحت عنوان: «تأويل خبر»: (روي أن النبي ﷺ خرج مع أصحابه إلى طعام دعوا له فإذا بالحسين وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنَّتَل رسول الله ﷺ أمام القوم، فطَفِقَ الصَّبِيُّ يَفِرُّ مَرَّةً ههنا ومَرَّةً ههنا، ورسول الله ﷺ يُضاحكه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت فأس رأسه، وأقنعه فقَبَلَه وقال: «أنا من حُسَيْنٍ وحسين مِنِّي، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سَبَطُ مِنَ الْأَسْبَاطِ». ومعنى «استنَّتَل» تَقَدَّمَ، يُقَالُ اسْتَنَّتَلَ الرَّجُلُ اسْتِنْتَالًا وَاِبْرَنْتَا وَاِبْرَنْتَاءَ، وَاِبْرَنْدَعُ وَاِبْرَنْدَاعًا، إِذَا تَقَدَّمَ. هكذا ذكره ابن الأنباري. ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له قال: يقول: اسْتَنَّتَلْتُ الْأَمْرَ اسْتِنْتَالًا، إِذَا اسْتَعْدَدْتُ لَهُ، وَاسْتَنَّتَلَ الرَّجُلُ، تَفَرَّدَ مِنَ الْقَوْمِ، وَيُقَالُ:

(١) جعفر بن قولويه: كامل الزيارة، الباب ١٤، حب رسول الله . الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ والأمر بحبهما وثواب حبهما رقم الحديث ١٢. وجاء في هامش كتاب جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي عند نقل هذه الرواية من هذا المصدر تعليقاً على المراد من الأسباط: (السيوط ولد الابن والابنة. وفي الحديث الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ ومعناه: أي طائفتان وقطعتان منه). هكذا تم تفسير المراد من الأسباط، وسأبين لاحقاً ما هو الصواب.

استنتل: أشرف. والمعاني متقاربة، والخبر يليق بكل واحد منها. وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه في أبرنتاً وابرندع أيضاً أنه من الاستعداد، فأما «السَّكَّة» فهي المنازل المصطفة، والنخل المصطف، ومعنى «طفق»: ما زال. قال الشاعر:

طفقت تبكي وأسعدُها وكلانا ظاهرُ الكمد

وفأس الرأس: طرف القمحدوة المشرف على القفا. ومعنى «أقنعه»: رفعه، هكذا ذكر ابن الأنباري. وقال غيره: يُقال: أقنعَ ظهره إقناعاً: إذا طأطأه ثم رفعه برفق. فأما «الأسباط» فأصلها في ولد إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ كالقبائل في بني إسماعيل^(١). وقال ابن الأنباري: هم الصبية، والصبوة، بالياء والواو معاً^(٢).

(١) هكذا فسّر السيد المرتضى المراد من الأسباط، وسأبين لاحقاً ما هو الصواب.

(٢) السيد المرتضى: الأمالي، ص ١٥٧-١٥٨.

الأسباط في القرآن

ذُكرت كلمة **الأسباط** في القرآن الكريم - معرّفة بالألف واللام - أربع مرّات، مرتّين في سورة البقرة، وثالثة في سورة آل عمران، ورابعة في سورة النساء... وكلها سور مدنية.

في سورة البقرة كان الحديث موجهاً لليهود والنصارى:

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

(١) سورة البقرة: ١٣٥-١٣٦.

وتتمة للخطاب السابق قال سبحانه وتعالى في نفس السورة:

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أأنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾^(١).

وهكذا جاء ذكر الأسباط في سورة مدنية أخرى هي سورة آل عمران
وذلك في سياق الحوار مع أهل الكتاب:

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى
وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

وأيضاً في إطار الحديث عن أهل الكتاب وموقفهم من قضية التوحيد
والنبوة قال عز وجل:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ
وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا،
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ
عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٣).

وفي موردٍ واحد جاءت الكلمة من دون (ال) حيث قال عز وجل:

(١) سورة البقرة: ١٤٠.

(٢) سورة آل عمران: ٨٤.

(٣) سورة النساء: ١٦٣-١٦٤.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ، وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١).

والسورة مكية، وقد استعملت كلمة **أسباط** هنا في معنى مغاير لما في الآيات المدنية، فهي غير محلالة بـ (ال) على خلاف الآيات المدنية، كما أن السياق الذي وردت فيه الكلمة هنا مخالف لسياق الآيات المدنية السابقة، إذ جاءت في كل الموارد الأربعة المدنية في سياق الحديث عن النبيين والرسول والرسالات، بخلاف الآية المكية التي تتحدث عن تقسيم قوم موسى إلى اثنتي عشرة قسماً، وعليه فيكون المعنى التالي هو المراد من كلمة **أسباط** في الآية المكيّة: (السَّبَطُ من اليهود: كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد)^(٢).

فما المراد من **الأسباط** في آيات سور البقرة وآل عمران والنساء؟ وهل هم المعنيون بقول النبي ﷺ أن: (الحسن والحسين سبطان من الأسباط)؟ أو (حسين سبط من الأسباط)؟ سأستعرض فيما يلي مجموعة من كلمات المفسرين من المذاهب الإسلامية المختلفة، من المتقدمين منهم والمتأخرين.

(١) سورة الأعراف: ١٥٩-١٦٠.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة سبط.

من كتب التفسير عند أهل السنة :

(١) قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري «ت٢١٠هـ» في تفسير الآية ١٣٦ من سورة البقرة:

(وأما الأسباط الذين ذكرهم، فهم اثنا عشر رجلاً من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. ولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا «أسباطاً»).

ثم روى الطبري عدة أحاديث للاستدلال على قوله، وهي كالتالي:

٢١٠٤- حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قال: «الأسباط، يوسف وإخوته، بنو يعقوب. ولد اثني عشر رجلاً فولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا: أسباطاً».

٢١٠٥- حدثني موسى قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط، عن السدي: أما الأسباط، فهم بنو يعقوب: يوسف، وبنيامين، وزوبيل، ويهوذا، وشمعون، ولاوي، ودان، وقهاث^(١).

٢١٠٦- حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: الأسباط يوسف وإخوته بنو يعقوب، اثنا عشر رجلاً، فولد لكل رجل منهم

(١) جاء في هامش الصفحة من الكتاب: لا ذكر لولد باسم «قهاث» ضمن أولاد يعقوب، وفي الدر المنثور «وتهان»، ولعلهما محرّقان عن «نفثالي». وقد اقتصر الطبري هنا على ثمانية نفر من الأسباط. وزاد السيوطي في الدر المنثور تاسعاً - في روايته عن الطبري - قال: «وكونوا - بالنون»، وليس في ولد يعقوب هذا الاسم، إلا أن يكون تصحيفاً صوابه «زبلون» كما هو في مصادر أهل الكتاب.

أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ، فَسَمَوْا «الْأَسْبَاطَ».

٢١٠٧- حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق قال: نكح يعقوب بن إسحاق - وهو إسرائيل - ابنة خاله «ليا» ابنة «ليان بن توبيل بن إلیاس»، فولدت له «روبيل بن يعقوب»، وكان أكبر ولده.... فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً نشر الله منهم اثني عشر سبطاً، لا يُحصي عددهم ولا يعلم أنسابهم إلا الله^(١).

(٢) قال أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي «ت٦٧١هـ» في تفسير الآية ١٣٦ من سورة البقرة:

(والأسباط: ولد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام، وهم اثنا عشر ولداً، ولد لكل واحد منهم أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ، واحدٌ سبط. والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل. وسَمَوْا الْأَسْبَاطَ مِنَ السَّبْطِ وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون. وقيل: أصله مِنَ السَّبْطِ «بالتحريك» وهو الشجر، أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر، الواحدة سَبْطَةٌ^(٢)).

وقال في تفسير الآية ١٦٠ من سورة الأعراف:

(وقيل: أراد بالأسباط القبائل والفرق، فلذلك أُنْتُ الْعِدَدُ.

قال الشاعر:

(١) الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، في تفسير الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، في تفسير الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

وإن قريشاً كلها عشرُ أبطنٍ وأنت بريء من قبائلها العشرِ
فذهب بالبطن إلى القبيلة والفصيلة، فلذلك أنثها. والبطن
مذكر، كما أن الأسباط جمع مذكر. الزجاج: المعنى
قطْعناهم اثنتي عشرة فرقة. «أسباطاً» بدل من اثنتي
عشرة «أمماً» نعت للأسباط. وروى المفضل عن عاصم
«وقطْعناهم» مخففاً. «أسباطاً» الأسباط في ولد إسحاق
بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام. والأسباط مأخوذ
من السبط وهو شجر تعلقه الإبل. وقد مضى في البقرة^(١)
مستوفى^(٢).

(٢) قال محمد الطاهر بن عاشور «ت١٣٩٣هـ» في شرح قول الله عَزَّجَلَّ:
﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي
قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ
لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٢):

(وبنو يعقوب هم الأسباط أي أسباط إسحاق، ومنهم تشعبت
قبائل بني إسرائيل وهم اثنا عشر ابناً: رأوبين، وشمعون،
ولاوي، ويهوذا، ويساكر، وزبولون، وهؤلاء أهمهم ليثة،
ويوسف وبنيامين «أمهما راحيل» ودان ونفتالي «أمهما
بلهة»، وجاد وأشير «أمهما زلفة». وقد أخبر القرآن بأن

(١) يشير إلى ما ذكره عن الأسباط في تفسير الآية ١٣٦ من سورة البقرة

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، في تفسير الآية ١٦٠ من سورة الأعراف.

(٣) سورة البقرة: ١٣٣.

جميعهم صاروا أنبياء^(١). وأن يوسف كان رسولاً. وواحد الأسباط سبط - بكسر السين وسكون الباء - وهو ابن الابن، أي الحفيد، وقد اختلف في اشتقاق سبط، قال ابن عطية في تفسير قوله سُجَّانَهُ وَقَالَ: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ في سورة الأعراف «١٦٠» عن الزجاج: «الأظهر أن السبط عبراني عُرِّبَ»^(٢).

من كتب التفسير عند الشيعة :

كانت هذه آراء بعض المفسرين من أهل السنة، ومن أزمنة مختلفة، وفيما يلي بعض آراء مفسري الشيعة:

(١) قال الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي «ت ٤٦٠هـ» في تفسير الآية ١٣٦ من سورة البقرة:

(والأسباط جمع سبط. قال تغلب: يقال: سبط عليه العطاء والضرب: إذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض. وأنشد الثوري في قطيع بقر: «كأنه سبط من الأسباط» شبَّه بالجماعة من الناس يتتابعون في أمر. والسبط: جماعة. ومن ثم قيل لولد يعقوب أسباط... وقال ابن دريد: السبط واحد الأسباط، وهو أولاد إسرائيل. وقالوا: الحسن

(١) استنتج ابن عاشور من ذكر الأسباط في الآيات المدنية في سياق ذكر النبيين والرسول أن أولاد يعقوب صاروا أنبياء، وقد وقع في هذا الاشتباه نتيجة تصوُّره أن المراد من الكلمة في الآية المكيَّة هو ذات المراد منها في السور المدنية، وأتى لأولاد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام أن يصبحوا أنبياء وهم الذين أرادوا قتل أخيهم وكانوا يعيشون عقداً نفسية تجاه أبيهم وأخيهم وبشكل تسوّل لهم أنفسهم القتل والكذب! قتل أخيهم وكانوا يعيشون عقداً نفسية تجاه أبيهم وأخيهم وبشكل تسوّل لهم أنفسهم القتل والكذب!

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، تفسير الآية ١٣٣ من سورة البقرة.

والحسين سبطا رسول الله ﷺ أي ولداه.... والسبط من اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب.... وقال الزجاج: السبط الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد. والسبط: الشجر. والسبط: الذين من شجرة واحدة. وقال قتادة: الأسباط يوسف وإخوته ولَدَ يعقوب اثني عشر رجلاً فولد كل واحد منهم أمة من الناس. فَسُمُوا الأسباط، وبه قال السَّدي والربيع وابن إسحاق.... ولا خلاف بين المفسرين أنهم ولد يعقوب. وقال كثير من المفسرين: أنهم كانوا أنبياء. والذي يقتضيه مذهبنا أنهم لم يكونوا أنبياء بأجمعهم، لأنه وقع منهم من المعصية ما فعلوه مع يوسف عَلَيْهِ السَّلَام ما لا خفاء به، والنبي - عندنا - لا يجوز عليه فعل القبائح، لا صغيرها، ولا كبيرها، فلا يصح مع ذلك القول بنبوتهم. وليس في ظاهر القرآن أنهم كانوا أنبياء، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ لا يدل على أنهم كانوا أنبياء، لأن الإنزال يجوز أن يكون على بعضهم ممن كان نبياً، ولم يقع منه ما ذكرناه من الأفعال القبيحة. ويُحتمل أن يكون المراد أنهم أُمرُوا باتباعه. كما يقال: أنزل الله إلى أمة النبي ﷺ القرآن. كما قال: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ وإن كان المُنْزَل على النبي ﷺ، لكن لما كانوا مأمورين بما فيه أضياف بأنه أنزل إليهم^(١).

(١) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، في تفسير الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

وقال في تفسير الآية ١٦٣ من سورة النساء مؤكداً ما ذكره مسبقاً من احتمال كون المراد بالأسباط في هذه الآيات: بعض النبيين من ذرية إسحاق ويعقوب عَلَيْهِمَا السَّلَام دون تحديد لأشخاصهم:

(والأسباط في ولد إسحاق كالثبائل في أولاد إسماعيل. وقد بعث منهم عدة رسل: كيوسف وداود وسليمان، وموسى وعيسى، فيجوز أن يكون أراد بالوحي إليهم الوحي إلى الأنبياء منهم، كما تقول: أرسلت إلى بني تميم، وإن أرسلت إلى وجوهمهم، وليس يصح عندنا أن الأسباط الذين هم اخوة يوسف، كانوا أنبياء)^(١).

وعند تفسيره لسورة يوسف عاد ليؤكد خطأ القول بأن المراد بهم يوسف وإخوته مستشهداً بأقوال بعض المفسرين أيضاً:

(وأكثر المفسرين على أن إخوة يوسف كانوا أنبياء، وقال قوم: لم يكونوا كذلك، وهو مذهبننا، لأن الأنبياء لا يجوز أن تقع منهم القبائح، وخاصة ما فعلوه مع أخيه يوسف من طرحه في الحب، وبيعهم إياه بالثمن البخس، وإدخالهم الغم به على أبيهم يعقوب، وكل ذلك يبين أنهم لم يكونوا أنبياء. وقال البلخي: ذهب قوم إلى أنهم لم يكونوا في تلك الحال بلغوا الحلم، وقد يقع مثل ذلك ممن قارب البلوغ، وإن لم يبلغ، ويُعَاتَب عليه ويُذَم، ويُضَرَب على فعله. ومن قال: كانوا بالغين، غير أنهم لم يكونوا أنبياء استدل على بلوغهم

(١) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، في تفسير الآية ١٦٣ من سورة النساء.

بقوله ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾^(١)، وقولهم ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾^(٢) وقال: الأنبياءُ الأسباطُ من بني يعقوب غير هؤلاء^(٣).

(٢) قال الفضل بن الحسن الطبرسي «ت ٥٤٨هـ» في تفسير الآية ١٣٦ من سورة البقرة مكرراً الكثير مما ذكره الطوسي من قبله:

(الأسباط: واحد هم سبط، وهم أولاد إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ابناً. وقالوا: الحسن والحسين سبطا رسول الله أي: ولده. والأسباط في بني إسرائيل بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل. قال الزجاج: السبط الجماعة يرجعون إلى أب واحد. والسبط في اللغة: الشجر. فالسبط: الذين هم من شجرة واحدة. وقال ثعلب: يُقال سَبَطَ عليه العطاء أو الضرب: إذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض. وأنشد الثوري في قطع بقر: «كأنه سبط من الأسباط» شبهه بالجماعة من الناس يتتابعون في أمر. ومن ثم قيل لولد يعقوب أسباط.... قال قتادة: هم يوسف وإخوته بنو يعقوب، ولد كل واحد منهم أمة من الناس، فسموا الأسباط، وبه قال السدي والربيع ومحمد ابن إسحاق.... وقال كثير من المفسرين: إنهم كانوا أنبياء، والذي يقتضيه مذهبنا أنهم لم يكونوا أنبياء بأجمعهم، لأن

(١) سورة يوسف: ٩.

(٢) سورة يوسف: ٩٧.

(٣) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، في تفسير الآية ٨ من سورة يوسف.

ما وقع منهم من المعصية فيما فعلوه بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا خفاء به، والنبي عندنا معصوم من القبائح، صغيرها وكبيرها، وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أنهم كانوا أنبياء. وقوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا أَنْبِيَاءَ، لَأَنَّ الْإِنْزَالَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَانَ عَلَى بَعْضِهِمْ مِمَّنْ كَانَ نَبِيًّا، وَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ وَأَنَّ الْمُنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ خَاصَّةً، لَكِنِ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا كَانُوا مَأْمُورِينَ بِمَا فِيهِ، أُضِيفَ الْإِنْزَالُ إِلَيْهِمْ. وَقَدْ رَوَى الْعِيَّاشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ حَنَّانِ بْنِ سَدِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ قَالَ: «قُلْتُ لَهُ: أَكَانَ وَلَدُ يَعْقُوبَ أَنْبِيَاءَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَسْبَاطًا وَأَوْلَادَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَمْ يَكُونُوا فَارِقُوا الدُّنْيَا إِلَّا سَعْدَاءَ، تَابُوا وَتَذَكَّرُوا مَا صَنَعُوا»^(١).

وقال أيضاً في تفسير الآية ١٦٣ من سورة النساء مؤكداً أن المراد من الأسباط ذرية إسحاق ويعقوب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَأَنَّ الْوَحْيَ إِنَّمَا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّينَ الْمُنْحَدِرِينَ مِنْ سُلَالَةِ هَذِهِ الذَّرِّيَّةِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى النَّبِيِّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَثْنِياً بِذَلِكَ إِخْوَتَهُ لِعَدَمِ اسْتِحْقَاقِهِمْ مَقَامَ النَّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ:

﴿وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَي: وَأَوْحَيْنَا إِلَى النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أَعَادَ ذِكْرَ هَؤُلَاءِ، بَعْدَ ذِكْرِ النَّبِيِّينَ، تَعْظِيماً لِأَمْرِهِمْ، وَتَفْخِيماً لِشَأْنِهِمْ ﴿وَالْأَسْبَاطَ﴾ وَهُمْ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ. وَقِيلَ: إِنَّ الْأَسْبَاطَ

(١) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، في تفسير الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

في ولد إسحاق، كالثبائل في ولد إسماعيل، وقد بعث منهم عدة رسل، كيوسف، وداود، وسليمان، وموسى، وعيسى، فيجوز أن يكون أراد بالوحي إليهم، الوحي إلى الأنبياء منهم، كما تقول: أرسلت إلى بني تميم، إذا أرسلت إلى وجوههم. ولم يصح أن الأسباط الذين هم أخوة يوسف، كانوا أنبياء^(١).

وقال في تفسير الآية ١٦٠ من سورة الأعراف:

(قال الأزهري: السبط: الفرقة.... والسبط في كلام العرب خاصة: الأولاد. قال الزجاج: قال بعضهم السبط: القرن الذي يجيء بعد قرن، والصحيح أن الأسباط في ولد إسحاق بمنزلة الثبائل في ولد إسماعيل، فولد كل ولد من أولاد يعقوب، سبط، وولد كل ولد من أولاد إسماعيل قبيلة، وإنما سُموا هؤلاء بالثبائل، وهؤلاء بالأسباط، ليُفصل بين ولد إسماعيل، وولد إسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَام. ومعنى القبيلة: الجماعة، ويقال للشجرة: لها قبائل، وكذلك الأسباط من السبط، كأنه جعل إسحاق بمنزلة شجرة، وجعل إسماعيل بمنزلة شجرة، وكذلك يفعل النسابون في النسب، يجعلون الوالد بمنزلة شجرة، وأولاده بمنزلة أغصانها، ويقال: طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة صالحة، فهذا معنى الأسباط، والسبط)^(٢).

(١) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، في تفسير الآية ١٦٢ من سورة النساء.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، في تفسير الآية ١٦٠ من سورة الأعراف.

واستشهد الطبرسي بكلام السيد المرتضى لنفي نبوة بعض إخوة يوسف ونزول الوحي عليهم، محتملاً أن يكون ليوسف إخوة آخرون لم يشاركوا في فكرة قتل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي إلقاءه في الجب وفي الكذب على يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن يكون هؤلاء هم الأسباط المعنيون بالآيات التي تتحدث عن نزول الوحي إليهم. ومن الواضح أن هذا الاحتمال من السيد المرتضى لا يعضده دليل، ومجرد افتراض، والذي دفعه إلى فرضه محاولة التوفيق بين كون الأسباط هم ذرية يعقوب، وبين حديث القرآن عن إنزال الوحي على الأسباط. قال:

(وأكثر المفسرين على أن إخوة يوسف كانوا أنبياء. وقال بعضهم: لم يكونوا أنبياء، لأن الأنبياء لا يقع منهم القبائح. وقال المرتضى، قدس الله روحه: لم يقم لنا الحجة بأن إخوة يوسف الذين فعلوا ما فعلوه، كانوا أنبياء، ولا يمتنع أن يكون الأسباط الذين كانوا أنبياء غير هؤلاء الإخوة الذين فعلوا بيوسف ما قصه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم، وليس في ظاهر الكتاب أن جميع إخوة يوسف، وسائر الأسباط فعلوا بيوسف ما حكاه الله من الكيد. وقيل: يجوز أن يكون هؤلاء الإخوة في تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم، ولا تَوَجَّهَ إليهم التكليف، وقد يقع ممن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الأفعال، ويُعَاتَب على ذلك ويُلَام، ويُضْرَب، وهذا الوجه قول البلخي، والجبائي، ويدل عليه قوله ﴿ نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ ﴾^(١).

وروى أبو جعفر ابن بابويه ^(١) رَحِمَهُ اللهُ فِي «كتاب النبوة» بإسناده عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن حنان بن سدير، قال: «قلت لأبي جعفر: أكان أولاد يعقوب أنبياء؟ فقال: لا، ولكنهم كانوا أسباطاً، أولاداً لأنبياء، ولم يفارقوا الدنيا إلا سعداء، تابوا وتذكروا ما صنعوا». وقال الحسن: كانوا رجالاً بالغين، ووقعت ذلك منهم صغيرة ^(٢).

(٢) وضع العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي «ت ١٤٠٢هـ» في معرض تفسيره للآية ١٣٦ من سورة البقرة احتمالين في المراد من **الأسباط** في الآية، الاحتمال الأول: ما يُقابل القبائل عند العرب، والاحتمال الثاني: أفراد من النبيين كانوا من ذرية ونسل النبي يعقوب «إسرائيل» عَلَيْهِ السَّلَام مِمَّن استحقوا هذا المقام، وليس المقصود منهم خصوص أولاده المباشرين، ما عدا النبي يوسف عَلَيْهِ السَّلَام الذي استحقَّ هذا المقام وكان مؤهلاً له:

(الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل، والسبط كالقبيلة، الجماعة يجتمعون على أب واحد، وقد كانوا اثنتي عشرة أسباطاً أمماً، وكل واحدة منهم تنتهي إلى واحد من أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر، فخلف كل واحد منهم أمة من الناس. فإن كان المراد بالأسباط الأُمم والأقوام فنسبة الإنزال إليهم لاشتغالهم على أنبياء من سبطهم، وإن كان المراد بالأسباط الأشخاص كانوا أنبياء

(١) أي الشيخ الصدوق.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، في تفسير الآية ١٠ من سورة يوسف.

أُنْزِلَ إِلَيْهِمُ الْوَحْيُ وَلَيْسُوا بِإِخْوَةَ يُوسُفَ لَعَدَمَ كَوْنِهِمْ أَنْبِيَاءَ،
وَنَظِيرُ الْآيَةِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى﴾^(١) (٢).

وبذا يكون العلامة قد وضع أمامنا احتمالين، أحدهما أن يكون المراد
من **الأسباط** القبائل، وأن الآية تعني وتحدث عن أنبياء ينحدرون منها
الأسباط، والاحتمال الآخر أن يكون المراد منهم أنبياء من بني إسرائيل
يُطْلَقُ عليهم هذا العنوان، دون أن يبيّن - في الاحتمالين - مَنْ هم وما هي
خصوصيّتهم. ثم عاد العلامة مجدداً ليؤكد عدم استحقاق إخوة يوسف
للنبوة، لينفي احتمال كونهم هم **الأسباط** الوارد ذكرهم في الآيات الشريفة
التي تحدثت عن إنزال الوحي عليهم وذكرتهم عند ذكر النبيين، قال:

(وَلَيْسَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾^(٢) الظاهر في نبوة الأسباط
صريحاً في إخوة يوسف. والحق أن إخوة يوسف لم يكونوا
أنبياء بل كانوا أولاد أنبياء حسدوا يوسف وأذنبوا بما ظلموا
يوسف الصديق ثم تابوا إلى ربهم وأصلحوا وقد استغفر
لهم يعقوب ويوسف عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كما حكى الله عن أبيهم قوله:
﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ «الآية: ٩٨ من السورة» بعد
قولهم: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾^(٤)

(١) سورة النساء: ١٦٢.

(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، في تفسير الآية ١٣٦ من سورة البقرة.

(٣) سورة النساء: ١٦٢.

(٤) سورة يوسف: ٩٧.

وعن يوسف قوله: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١)
«الآية: ٩٢» من السورة بعد اعترافهم له بقولهم: ﴿وَإِنْ
كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾^(٢) (١).

وأكد العلامة في مكان آخر ما ذكره المفسرون والعلماء الذين سبقوه
كالطوسي والطبرسي، وكالسيد المرتضى من نفي نبوة إخوة يوسف، بالإضافة
إلى عدم وجود دليل مقنع بأن المراد من **الأسباط** الأولاد المباشرين للنبي
يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام . قال:

(وفي تفسير العياشي عن نشيط بن ناصح البجلي قال:
«قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكُنْ إِخْوَةَ يُوسُفَ أَنْبِيَاءَ؟ قَالَ: لَا،
وَلَا بَرَّةَ أَتَقِيَاءَ، وَكَيْفَ وَهُمْ يَقُولُونَ لِأَبِيهِمْ: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي
ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾»^(٣) . أقول: وفي الروايات من طرق أهل
السنة وفي بعض الضعاف من روايات الشيعة أنهم^(٤) كانوا
أنبياء، وهذه الروايات مدفوعة بما ثبت من طريق الكتاب
والسنة والعقل من عصمة الأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما ورد في الكتاب
مما ظاهره كون الأسباط أنبياء كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا
إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾^(٥) غير
صريح في كون المراد بالأسباط هم إخوة يوسف، والأسباط

(١) سورة يوسف: ٩١.

(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، في تفسير الآية ٨ من سورة يوسف.

(٣) سورة يوسف: ٩٥.

(٤) أي إخوة يوسف.

(٥) سورة النساء: ١٦٣.

تُطلق على جميع الشعوب من بني إسرائيل الذين ينتهي نسبهم إلى يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾^(١)^(٢).

استخلاص نتائج أقوال المفسرين:

من جميع ما سبق نتوصل إلى أن مجمل المفسرين المسلمين خلصوا إلى ثلاثة آراء رئيسة في محاولتهم لتحديد مَنْ هم **الأسباط** الذين تحدّث عنهم الآيات الشريفة، وجعلتهم في مصاف النبيين والرسل، وذكرت أنهم قد أوحى إليهم كما أوحى إلى رسول الله محمد ﷺ ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ويونس وهارون وسليمان ودأود وغيرهم من النبيين عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين ذكرهم القرآن الكريم ومَنْ لم يذكرهم. وفيما يلي خلاصة الآراء السابقة:

١. **الأسباط:** الأولاد المباشرون للنبي يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وإخوته، كانوا اثنا عشر رجلاً، وكانوا أنبياء. ويُلحَق به الاحتمال الذي افترضه السيد المرتضى من أن يكونوا أولاد يعقوب المباشرين ممن لم يشاركوا في محاولة قتل أخيهام أو إلقاءه في الحب والكذب.

٢. **الأسباط:** الجماعات البشرية «القبائل» التي انحدرت من ذرية النبي يعقوب الملقَّب بـ «إسرائيل»، على أن يكون مراد الآيات الأربع الواردة في السور المدنية خصوص النبيين المنتميين إلى هذه **الأسباط** «القبائل» أي

(١) سورة الأعراف: ١٦٠.

(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، في البحث الروائي الخاص بتفسير الآيات ٩٣-١٠٢ من سورة يوسف.

المنحدرين من نسل إسحاق وابنه يعقوب عَلَيْهِمَا السَّلَام، دون تحديد لهويّتهم وأسمائهم، على اعتبار أن المتكلّم قد يتحدّث عن أفراد معيّنين، ولكنه يذكرهم من خلال مَنْ أو ما ينتسبون إليه، كأن يتواجد أمامه عدد من الناس المنتمين إلى بلدان مختلفة فيقول: (على الكويتيين أن) وبالطبع فإنه لا يقصد كل الكويتيين الذين هم على قيد الحياة، بل خصوص المعنّيين المتواجدين أمامه.

٣. الأسباط: أنبياء من بني إسرائيل دون تحديد أسمائهم وهويّاتهم.

ومع رفض الرأي الأول واستبعاده لما ذُكر ضمن كلمات عدد من المفسّرين والعلماء، ولأن الاحتمال الذي فرضه السيد المرتضى بلا دليل، بقي لدينا قولان ينتهيان إلى نتيجة واحدة، وهي أن **الأسباط** أنبياء من ذرية النبي يعقوب، دون أن نصل إلى نتيجة توضّح وتحدّد لنا هويّة أولئك **الأسباط** النبيّين، فضلاً عن شيء من سيرتهم.

وقد ذهب بعض العلماء إلى نفي نبوة **الأسباط**، مع الالتزام بأنه كان يوحيّ إليهم، مع بيان معنى الوحي في القرآن وكيفياته، ومما جاء في ذلك:

(الأسباط ليسوا من الأنبياء، ولكنهم من الأوصياء، الأسباط ميزتهم أنهم يشاركون الأنبياء في خصلة معينة، وإن لم يكونوا أنبياء.... ألا وهي أنهم يُوحى إليهم.....: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾^(١).....)

فما معنى أن الأسباط يوحى إليهم مع أنهم ليسوا بأنبياء؟ نستفيد هذا المعنى من الآية المباركة التي تقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾^(١) البشر يمكن أن يكلمه الله، لكن هناك ثلاث طرق لكلام الله مع البشر، ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ الوحي يعني الإلهام، يمكن للبشر أن يكلمه الله عن طريق الإلهام الصائب، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ بأن يخلق الله الكلام في جسم من الأجسام، فيسمعه البشر، كما سمع موسى بن عمران «عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام»، عندما وصل لطور سيناء سمع الكلام من الشجرة، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٢)، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ أي: أو ينزل جبرئيل عليه.... النبي هو من يصل إليه جبرئيل، كلام الله مع النبي يختلف عن كلام الله مع الوصي، كلام الله مع الوصي يختلف عن كلام الله مع الولي، لكل درجة درجة من كلام الله، النبي يكلمه الله بإرسال جبرئيل، الوصي أيضاً يكلمه الله وإن لم يكن نبياً، لكن لا عن طريق إرسال جبرئيل، بل عن طريق أن هذا الوصي يلهم الله قلبه المعاني الصائبة والمضامين الصحيحة..... بل حتى غير الأوصياء الله يكلمهم، نحن نقرأ القرآن في حق مريم بنت عمران، مريم ليست نبياً ولا وصياً، ومع ذلك القرآن تحدث أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(١) سورة الشورى: ٥١.

(٢) سورة النساء: ١٦٤.

أرسل إليها الملائكة، ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١).....
بل الأعظم من ذلك، أم موسى، مريم امرأة معصومة،
القرآن تحدث عن عصمتها، ﴿اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ
عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ ولكن أم موسى ليست امرأة معصومة،
ومع ذلك كلمها الله، أي: أوحى إليها، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾.... إذا كانت أم
موسى التي ليست نبياً ولا وصياً ممن أوحى إليه، فكيف
نستغرب أن الأسباط - أي: الأوصياء - أوحى إليهم؟!.....
فالأسباط - أي: الأوصياء - هم الذين أيضاً كلمهم وأوحى
إليهم عن طريق الإلهام^(٢).

ولكن قد يُقال أن ذكر الأسباط ضمن سلسلة الرسل والنبیین عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يُساعد على هذا القول، ويرجح أن يكونوا فعلاً من النبیین، والله أعلم
بحقيقة الحال.

بعد هذا العرض للأقوال السابقة ننتقل إلى الفصل التالي الذي أبين
من خلاله ما توصلت إليه من نتائج تُحدّد هوية أولئك الأسباط والعهد
الذي عاشوا فيه، وماهية المهام والمسؤوليات التي نهضوا بها، وبالتالي
ما رسالة النبي الأكرم ﷺ التي ضمّنها قوله حين اعتبر أن الإمامين
الحسينين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أو خصوص الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام من الأسباط.

(١) سورة آل عمران: ٤٢.

(٢) من محاضرة سماحة السيد منير الخباز ومنشورة على موقعه الرسمي على شبكة الإنترنت:
<http://almoneer.org/index.php?act=av&action=view&id=3029>

سِفر الأسباط

من الواضح والبديهي أن النبي ﷺ لم يُرد المعنى اللغوي لكلمة **الأسباط** عند إخباره بأن الحسين سبط^(١) من **الأسباط**. ففي المعاجم اللغوية كما ذكر الزبيدي:

(وَالسُّبُطُ بِالْكَسْرِ: وَلَدُ الْوَلَدِ، وَفِي الْمُحْكَمِ: وَلَدُ الْإِبْنِ وَالْإِبْنَةُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمَا». وَالسُّبُطُ: الْقَبِيلَةُ مِنَ الْيَهُودِ وَهُمْ الَّذِينَ يَرْجِعُونَ إِلَى أَبِي وَاحِدٍ، سُمِّيَ سِبْطًا لِتَفَرُّقِ بَيْنَ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَوَلَدِ إِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. ج. أَسْبَاطٌ. وَقَالَ أَبُو

(١) أو (الحسن والحسين سبطان من الأسباط) كما في نص آخر.

(٢) اختصار لكلمة (جمعه).

العبّاس: سألتُ ابنَ الأَعرابي: مَا مَعْنَى السَّبْطِ فِي كَلَامِ
العَرَبِ؟ قَالَ: السَّبْطُ والسَّبْطَانُ والأسْبَاطُ: خَاصَّةُ الأَوْلَادِ
والمُصَاصِ مِنْهُمْ^(١). وَقَالَ غَيْرُهُ: الأسْبَاطُ: أَوْلَادُ الأَوْلَادِ،
وَقِيلَ: أَوْلَادُ البَنَاتِ. قُلْتُ: وَهَذَا الْقَوْلُ الأَخِيرُ هُوَ الْمَشْهُورُ
عِنْدَ الْعَامَّةِ، وَبِهِ فَرَّقُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الأَحْفَادِ، وَلَكِنْ كَلَامُ
الْأَثَمَةِ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ يَشْمَلُ وَلَدَ الابْنِ وَالابْنَةَ كَمَا صَرَّحَ بِهِ
ابْنُ سَيِّدِهِ. وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ: الأسْبَاطُ فِي بَنِي إِسْحَاقَ بِمَنْزِلَةِ
الْقِبَائِلِ فِي بَنِي إِسْمَاعِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا. يُقَالُ: سُمُوا
بِذَلِكَ لِيُفْصَلَ بَيْنَ أَوْلَادِهِمَا. قَالَ: وَمَعْنَى الْقَبِيلَةِ مَعْنَى
الْجَمَاعَةِ، يُقَالُ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ مِنْ أَبٍ وَأُمٍّ: قَبِيلَةٌ، وَيُقَالُ لِكُلِّ
جَمْعٍ مِنْ آبَاءٍ شَتَّى: قَبِيلٌ - بِلَا هَاءٍ - وَقَالَ قُطْرُبٌ:
وَاحِدُ الأسْبَاطِ سَبْطٌ، يُقَالُ: هَذَا سَبْطٌ، وَهَذِهِ سَبْطٌ، وَهَؤُلَاءِ
سَبْطٌ، جَمْعٌ وَهِيَ الْفُرْقَةُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا
مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سَبْطٌ مِنْ
الْأَسْبَاطِ». قُلْتُ: رَوَاهُ يَعْلَى بْنُ مُرَّةٍ الثَّقَفِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْرَجَهُ
التِّرْمِذِيُّ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ ابْنِ عِيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ
بْنُ عُثْمَانَ بْنُ خُثَيْمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ يَعْلَى وَقَالَ:
حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمٍ
وَوَهَبٍ عَنْ ابْنِ خُثَيْمٍ وَأَخْرَجَهُ الْبَغَوِيُّ عَنْ إِسْمَاعِيلِ ابْنِ
عِيَّاشٍ الْحِمَصِيِّ عَنْ ابْنِ خُثَيْمٍ وَلَفْظُهُ: «حُسَيْنٌ سَبْطٌ مِنْ

(١) مُصَاصٌ: خَالِصٌ كُلِّ شَيْءٍ. «هُوَ مُصَاصٌ قَوْمُهُ»: أَيِ أَخْلَصَهُمْ نَسَبًا.

الأسباط، مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَحِبِّ حُسَيْنًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَيُّ أُمَّةٍ
مِنَ الْأُمَمِ فِي الْخَيْرِ، فَهُوَ وَاقِعٌ عَلَى الْأُمَّةِ، وَالْأُمَّةُ وَاقِعَةٌ
عَلَيْهِ^(١).

فليس من المقبول أن يكون مراد النبي ﷺ بيان أن الحسين^(٢) ابنُ ابنته،
كما لا معنى لأن يقول أن الحسين بمثابة قبيلة من القبائل، أو كجماعة من
الناس، لبيان قوته أو همته أو ما شابه ذلك، ولو أراد ذلك لقال مثلاً: «حسين
سبط» واكتفى بذلك، إذ لا معنى بأن يقول بأن الحسين قبيلة من القبائل..
سبط من الأسباط.. فلا بد - والحال هذه - أن يكون النبي ﷺ بصد
إحالة المسلمين إلى شيء معهود قد عرفوه، وكان يتداعى إلى أذهانهم حين
يسمعون كلمة الأسباط. وبتعبير آخر فإن (ال) في كلمة الأسباط للعهد. قال
السيد مرتضى العسكري:

(وكذلك نرى أن قوله في حقهما أنهما سبطان من الأسباط،
لا يعني أنهما حفيدان كما أن جميع البشر ما عداهما
حفدة، فهذا هذر من القول حاشا رسول الله ﷺ منه، بل
إن الألف واللام في الأسباط للعهد الذهني من القرآن
الكريم، أي أنهما من الأسباط المذكورين في كتاب الله في
قوله سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ
إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا
أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ

(١) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مادة سبط.

(٢) أو الحسن والحسين ابنا ابنته.

بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾. وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى...﴾ ﴿٢﴾. وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ...﴾ ﴿٣﴾. وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ...﴾ ﴿٤﴾. وعليه فَإِنَّ الْأَلْفَ وَالْإِلَامَ فِي «الأسباط» فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَقِّ الْحُسَيْنِ لِلْعَهْدِ الذَّهْنِيِّ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَأَنْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَقِّهِمَا نَظِيرُ قَوْلِهِ فِي حَقِّ أَبِيهِمَا أَنَّهُ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَقَدْ شَرَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ فِيمَا حَكَى عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا، إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا، قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى....﴾ ﴿٥﴾. وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ

(١) سورة البقرة: ١٣٥-١٣٦.

(٢) سورة البقرة: ١٤٠.

(٣) سورة آل عمران: ٨٤.

(٤) سورة النساء: ١٦٢-١٦٤.

(٥) سورة طه: ٢٩-٣٦.

يَكْذِبُونَ، قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ... ﴿١﴾. وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٢﴾. وفيما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهما وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ ﴿٣﴾. وقال: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ...﴾ ﴿٤﴾. في هذه الآيات جعل الله هارون رداءً لموسى ووزيراً وشريكاً في النبوة، استخلفه موسى في قومه، فلما نصَّ خاتم الأنبياء أن علياً منه بمنزلة هارون من موسى واستثنى من كل ذلك النبوة وأنه لا نبي بعده، بقي منها للإمام علي رداء ووزارة ومشاركة في التبليغ على عهد الرسول ﷺ، ومن بعده الخلافة في قومه وحمل أعباء التبليغ، وكذلك الأمر مع ولديه الحسنين، ونستثني النبوة مما كان للأسباط، لأنه لا نبي بعد خاتم الأنبياء، ويبقى لهما حمل مسؤولية تبليغ الأحكام الإسلامية عن الله ﴿٥﴾.

وبالفعل، فإنَّ قول النبي ﷺ: (حسين مني وأنا منه) - كما لا يخفى على عاقل - ليس لبيان الانتماء الأسري، بل جاءت هذه الكلمات لتعبّر عن اعتزازه به، تماماً مثلما يرى الأب أحد أبنائه يتصرّف مثله أو يحمل بعض

(١) سورة القصص: ٢٤-٣٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٣) سورة الفرقان: ٣٥.

(٤) سورة المؤمنون: ٤٥.

(٥) العسكري: معالم المدرستين، ج ١، ص ٣٢٤-٣٢٧.

خصاله الحميدة كالشهادة أو البلاغة أو الشجاعة مثلاً، فيقول: «هذا ابني». أو يُقال للأب: «هذا الشبل من ذاك الأسد».

إنَّ سَبَقَ عبارة: (حسين مني وأنا منه) لعبارة: (حسين سبط من الأسيباط) يزيدنا تأكيداً من أن النبي لا يريد أن يبيّن هنا علاقة النسب بينه وبين الحسين ولد ابنته.. وهل كان من المسلمين من يجهل ذلك؟! وإنما أراد ﷺ أن يشير إلى شيء عهد المسلمون وعرفوه من قبل، ولذا قلنا أن الألف واللام في كلمة **الأسيباط** للعهد الذهني، وكأنَّ النبي ﷺ يقول للمسلمين: «لقد علمتم أمر الأسيباط.. إنَّ حال الحسين^(١) وشأنه كشأن الأسيباط».

فمن هم **الأسيباط** في هذا الحديث النبوي؟ وماذا عرف المسلمون عنهم ليحيلهم النبي ﷺ إلى ما عرفوا؟ وما وجه الشبه بين الطرفين؟
اختلف شراح هذا الحديث في تفسير ذلك كما اختلف المفسرون في المراد من **الأسيباط** في الآيات القرآنية.

فقد ذهب البعض إلى أنهم أسيباط النبي إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَام، أي أولاد النبي يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام، وبعبارة أخرى هم النبي يوسف عَلَيْهِ السَّلَام وإخوته، وعددهم اثنا عشر سبطاً، وأنهم كانوا أنبياء. وهذا يعني أن رسول الله ﷺ أراد بيان مكانة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام باعتباره أحد قادة الأمة وحملة الرسالة والحماة عنها من بعده، تماماً كما قام الأنبياء بذلك، وإن كانت النبوات قد حُتِمَتْ بنبوّة محمد ﷺ، إلا أن المسؤوليّات الملقاة على عاتق الأنبياء

(١) أو الحسن والحسين.

السابقين تبقى، وسيتملأها الحسين كما تملأها. وهذا يشبه قول رسول الله ﷺ بحق الإمام علي عليه السلام: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) ^(١) وفي رواية مسلم: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي) ^(٢).

ومثل القول السابق ما ذهب إليه آخرون من أن المراد من **الأسباط** في هذا الحديث أنبياء من ذرية إسحاق ويعقوب دون تسميتهم أو تحديد هوياتهم، وأن غرض النبي هنا هو عين الغرض في التفسير السابق.

وذهب آخرون - كما مررنا فيما نقله الزبيدي - إلى أن النبي ﷺ يشير إلى كون الإمام الحسين عليه السلام من جهة الخير والأهمية والعتاء بمثابة وبحجم أمة من الأمم ^(٣)، لأن كلمة **الأسباط** تستعمل للدلالة على المجموعة من الكبيرة من الناس تماماً كما تدل كلمة القبيلة على ذلك.

وفي رأي آخر - مررنا أيضاً - أن **الأسباط** كانوا من ذرية أولاد النبي يعقوب عليه السلام، ولكنهم ما كانوا من النبيين، بل كانوا من الأوصياء، دون تحديد لهوياتهم وأشخاصهم.

سفر القضاة:

وبفضل الله عز وجل ومنه، توصلت إلى بعض النتائج التي أستطيع أن أقول أن بإمكانها أن تزيل الغموض عن المراد الحقيقي من هؤلاء **الأسباط**، بحيث

(١) البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، ح ٣٥٠٣.

(٢) مسلم: المسند الصحيح (صحيح مسلم)، ح ٢٤٠٤.

(٣) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مادة سبط.

ندرك على وجه التحديد والدقة مَنْ هم المعنيّون في الآيات القرآنية النازلة في العهد المدني؟ وكَم كان عددهم؟ وماذا كانت أدوارهم؟ وماذا أراد النبي من اعتبار الحسين أو الحسينين من **الأسباط**؟

فالقرآن الكريم في العهد المدني حيث يخاطب أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، يحيلهم إلى بعض أسفار «العهد القديم»^(١)، وما فيها من ذكرٍ لأنبياء وشخصيات عهدوها وارتبطوا بها في تاريخهم الممتد لقرون، وطالما تحدّثوا عنهم أمام أهل يثرب قبل الهجرة، ثم أمام المسلمين من المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، إلى درجة أنهم صاروا لاحقاً يتواصون فيما بينهم بالامتناع عن ذلك خوفاً من أن يستفيد المسلمون من تلك المعلومات فيزدادون إيماناً و يقيناً بالقرآن وبرسالة النبي ونبوّته، ويتوافرون على المزيد من الأدلة والبراهين على حقّانية الإسلام: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُسْهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وبالتالي، فإنَّ القرآن الكريم حين يذكر **الأسباط** ضمن حديثه عن الرسل والأنبياء من قبيل إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لابد وأنه يقصد مجموعة معيّنة لها ارتباط خاص فيما بينها، وعُرِفَتْ باسم **الأسباط**، وليس المراد منهم بعض أنبياء بني إسرائيل

(١) الكتاب المقدس عند النصارى ينقسم إلى قسمين رئيسيين، يطلق على القسم الأول منهما اسم «العهد القديم» وهو يشتمل على التوراة المكوّنة من خمسة أسفار - أي كتب - وعلى أسفار يشوع والقضاة وصموئيل والملوك وحزقيال... إلخ. أما القسم الثاني فيسمى «العهد الجديد» وهو يشتمل على الأناجيل الأربعة بالإضافة إلى كتب أخرى منسوبة إلى أشخاص جاءوا بعد السيد المسيح، مثل سفر رؤيا يوحنا وأسفار «أعمال الرسل».

(٢) سورة البقرة: ٧٦.

بشكل مبعثر، بل مجموعة خاصة من ذرية يعقوب، عرفها المسلمون من خلال ما كان يحكيه لهم أهل الكتاب، وكانت هذه المجموعة تحمل هذا الاسم على وجه التحديد، وأفرادها غير أولئك النبيين من ذرية يعقوب من الذين طالما حكى القرآن قصصهم وعرفهم بأسمائهم الشخصية كداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام.

وأداة التعريف في كلمة **الأسباط** التي استعملها النبي ﷺ في الحديث السابق الذي ذكر فيه الحسين عليه السلام أو الحسنين عليهما السلام هي للإشارة إلى تلك المجموعة المحددة على وجه الخصوص.

وهكذا فإن **الأسباط** في الآيات القرآنية وفي الحديث النبوي السابق ليسوا الأولاد المباشرين للنبي يعقوب عليه السلام، لأنهم - ما عدا يوسف - لم يكونوا بذلك المستوى اللائق الذي يؤهلهم لأن يكونوا من الرسل والنبيين وفي مصاف الخليل إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وعيسى بن مريم عليهم السلام.

وفعلاً، عندما نرجع إلى العهد القديم، سنجد بعد «سفر يشوع» مباشرة «سفر القضاة»، وفي كتاب «التفسير التطبيقي للكتاب المقدس» ص ٤٨١، وجدت جدولاً يشتمل على عدد وأسماء أولئك القضاة، وهم اثنا عشر.. أحد عشر رجلاً، ومعهم امرأة!

أي لورجعنا إلى التاريخ بالترتيب، سنجد النبي موسى، فوصيه يوشع بن نون، فأحد عشر قاضياً ومعهم قاضية.. تماماً كما هو الحال مع نبينا فعلي وفاطمة الزهراء وأحد عشر إمام! فهل يمكن أن يكون القضاة في هذا السفر هم **الأسباط**؟

القاضي	سنوات حكمه	أهم ما يذكر عنه	الشاهد
عثنيل	٤٠	استولى على مدينة كنعانية حصينة.	١١-٧:٣
إهود	٨٠	قتل عجلون وهزم الموآبيين.	٣٠-١٢:٣
شمجر	غير معروف	قتل ٦٠٠ فلسطيني بمهماز بقر.	٣١:٣
دبورة (مع باراق)	٤٠	هزمت القائد سيسرا والكنعانيين ثم ترغمت بأنشودة النصر مع باراق.	٥، ٤
جدعون	٤٠	حطم أصنام عائلته، واستخدم جزء صوف لمعرفة إرادة الله، وجمع جيشاً من عشرة آلاف جندي وهزم مائة وخمسة وثلاثين ألف جندي من المديانيين بثلاثمائة مقاتل.	من ٨-٦
تولع	٢٣	قضى لإسرائيل ٢٣ سنة.	٢، ١:١٠
ياثير	٢٢	كان له ثلاثون ابناً.	٥-٣:١٠
يفتاح	٦	نذر نذراً متسرعاً، وهزم العمونيين، ثم قاتل أفرام الذين غاروا منه.	٧:١٢-٦:١٠
إيصان	٧	كان له ثلاثون ابناً، وثلاثون بنتاً.	١٠-٨:١٢
إيلون	١٠	لم تسجل أعماله.	١٢، ١١:١٢
عبدون	٨	كان له أربعون ابناً وثلاثون حفيداً، وكان لكل منهم حماره.	١٥-١٣:١٢
شمشون	٢٠	كان نذيراً، قتل أسداً بيده بدون سلاح. أحرق حقول قمح الفلسطينيين. قتل ألف فلسطيني بفك حمار، وخلع باباً حديدياً. خائنه دليلاً، وقتل آلاف الفلسطينيين في عمل أخير جبار.	١٦-١٣

وحيث أن كلمة «قضاة» في ظاهرها لا تدلّ على **الأسباط** بأيّ نحو، فقد دفعني هذا إلى البحث عن التعبير الدقيق المستعمل في النص الأصلي للعهد القديم وباللغة العبرية؟

ومن هنا بدأت البحث.. وكانت المفاجأة! ففي المصادر التي تتحدث عن هذا السفر باللغة العبرية وجدت أن هذا السفر يحمل عنوان **سفر الأسباط**!

ה HEH = 5 "h" Behold, to show, to reveal	ד DALETH = 4 "d" A door, a path, a way of life, movement (into or out of)	ג GIMEL = 3 "g" A camel, something lifted up (like a camel rising from its' knees), self-will or pride	ב BETH = 2 "b" Tent or house, the body, the household or family, inside, within, amid	א ALEPH = 1 " " (silent) Ox, bull, gentle, lame, the leader, strength, what is first, Adonai, thousand, teach
י YOD = 10 "y" A hand (closed or closing upon), to work, a deed done, a finished work	ט TETH = 9 "t" A snake, to twist, to surround, to twist, a twisting or a colling	ח CHETH = 8 "ch" or "kh" A fence, inner room or chamber, to separate, to cut off from, to protect	ז ZAYIN = 7 "z" A sword, an axe, a weapon, to cut, to pierce	ו VAW = 6 "v" or "w" A nail, a peg, a hook, joining together, making secure, becoming bound (nailed to)
ס SAMEKH = 60 "c" or "s" sharp A prop, to support, prop, aid, assist, a slow twisting or turning aside (like a propped plant)	נ NUN = 50 "n" A fish, to sprout, to spread, offspring, descendant, action, life, Hae to the Throne, faithfulness	מ MEM = 40 "m" Water, mighty, massive, many chaos (like the deep), to come from (like water down a stream)	ל LAMEDH = 30 "l" A staff, cattle goad, rod, to control, prod, urge forward, go forward or forward, teach, learn, tongue	כ KAPH = 20 "k" A palm of a hand, a wing, to allow, to cover, to open the hand, the power to suppress or lift up
ר REYSH = 200 "r" A head, a person, what is the highest, most important, chief	ק QOPH = 100 "q" or "k" The back of the head, what is behind, last, final, the least	צ TSADHE = 90 "ts" or "st" sharp A fish hook, to pull toward, something inescapable, desire, trouble, a harvest, righteous, to hunt	פ PHE = 80 "p" or "t" A mouth, opening, or entrance, to command, speak, open, a beginning, here, present	ע AYIN = 70 " " (Guttural) The eye, look, appearance, to see, understand, experience, to be seen, a fountain
ש When parsing Hebrew texts: These 5 "Sophith" Forms are Suffixes to indicate the end of a word if applicable.	ז They are decorative and do not alter at all	מ the letter meaning indicated.	ת TAV = 400 "th" or "t" A mark, sign, "x" or cross, ownership, to seal, covenant, join two things together, the last	ש SIN/SHIN=300 "s" or "sh" Teeth, ivory, point of a rock, a peak, to devour, consume, destroy, something sharp, B Shaddai
NUN SOPHITH	KAPH SOPHITH	PHE SOPHITH	TSADHE SOPHITH	MEM SOPHITH

كيف؟ وما الدليل؟ إليك البيان:

في كتاب «مقدمة موجزة للعهد القديم: الكتاب المقدس العبري في سياقه»^(١) لمايكل ديفيد كوغان^(٢) المحاضر في مادة العهد القديم باللغة العبرية في كلية اللاهوت بجامعة هارفارد، ومدير المنشورات للمتحف السامي بهارفارد يذكر في ضمن حديثه معرفاً بهؤلاء «القضاة»:

**A Biblical judge (Hebrew: שופט šōpêṭ/
shofet, pl. שופטים šōpəṭîm/shoftim) was «a
ruler or a military leader as well as someone
who presided over legal hearings.»^(٣)**

(١) A Brief Introduction to the Old Testament: The Hebrew Bible in Its Context

(٢) Michael David Coogan

(٣) Coogan, A Brief Introduction to the Old Testament, Glossary, pg. 426

Arabic Alphabet		Hebrew Alphabet	
Name	Character	Name	Character
Āad	ض		
Āaa'	ط	ט	Tet
Th:aa'	ظ		
Ayn	ع	ע	Ayin
Ghayn	غ	ג	(Ghimel)
		פ	Pe
Faa'	ف	פ	(Fe)
Qaaf	ق	ק	Qof
Kaaf	ك	כ	Kaf
Laam	ل	ל	Lamed
Miim	م	מ	Mem
Nuun	ن	נ	Nun
Haa'	ه	ה	He
Waaw	و	ו	Vav (Waw)
Yaa'	ي	י	Yod

Arabic Alphabet		Hebrew Alphabet	
Name	Character	Name	Character
Alif	ا	א	Alef
Baa'	ب	ב	Bet
		ב	(Vet)
Taa'	ت	ת	Tav
Thlaa'	ث	ת	(Thav)
Jim	ج	ג	Gimel
H'aa'	ح	ה	H'et
Kha'	خ	כ	(Khaf)
Daal	د	ד	Dalet
Thaal	ذ	ד	(Thalet)
Raa'	ر	ר	Resh
Zaay	ز	ז	Zayin
		ס	Samekh
Siin	س	ש	Sin
Shiin	ش	ש	Shin
Šaad	ص	צ	Tsadi

أي أن الكلمة المستعملة بدلاً عن كلمة القاضي في النص العبري هي كلمة שופט ، وبالعودة إلى أي قاموس عربي عبري إنجليزي ستجد أن:

الحرف ש يقابل السين والشين S - Sh

والحرف ו يقابل الواو O

والحرف פ يقابل «پ و الفاء» P - F

والحرف ט يقابل الطاء وليس له مقابل ويلفظ عندهم T

ولذا، فإن النص السابق كتب مقابل كلمة שופט : shofet : šōpêṭ

أي «شويط أو شوفط»، وهي تقابل كلمة «سبط» في العربية.

The screenshot shows the Chabad.org website. The header includes the Chabad.org logo, navigation links like 'JEWISH PRACTICE', 'LEARNING & VALUES', 'COMMUNITY & FAMILY', and 'INSPIRATION & ENTERTAINMENT'. The main content area is titled 'Sefer Shoftim: The Book of Judges' and includes a sidebar with 'Texts & Writings' and 'Classic Texts'. The main text area contains an introduction to the book and its contents, including a list of chapters and their topics.

وللجمع في العبرية تضاف «يم» في نهاية الكلمة، ولذا نجد الكلمة تصبح كالتالي: שופטים : *shoftim* : *šōpəṭīm* أي «شوفيطيم أو شوفطيم»، وهذا يقابل كلمة الأسباط في العربية. ولمزيد من التأكيد رجعت إلى كتاب «قاموس العهد القديم باللغات العبرية والإنجليزية»^(١)، وللعديد من المواقع اليهودية التي تتحدث عن أسفار الكتاب المقدس فوجدتها تُعَنِّون هذا السفر بالتالي:

Sefer Shoftim: The Book of Judges^(٢)

نعم.. «سفر شوفطيم».. كتاب القضاة! وتضيف هذه المصادر بأنهم لم يكونوا قضاة وفق المعنى المعهود للكلمة، بل كانوا حكاماً أو قادة عسكريين أو رؤساء جلسات المحاكمة، وبمعنى آخر أنهم كانوا ولاية أمور

(١) A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament المطبوع سنة ١٩٠٦ لعدة مؤلفين من بينهم فرانسيس براون.

(٢) www.chabad.org/library/article_cdo/aid/1172711/jewish/Sefer-Shoftim.htm

بني إسرائيل في عهدهم.. سادتهم.. قادتهم.. أولياءهم... فماذا كان دورهم؟

وصايا ومخالفات:

قبل أن يتوفى النبي موسى ﷺ استدعى جميع بني إسرائيل وأوصاهم من جديد بالتمسك بتوحيد الله وبطاعته، والعمل بالموثيق التي أخذها عليهم، ثم قال لهم:

(أنا اليوم قد بلغت من العمر مائة وعشرين سنة، وصرتُ عاجزاً عن قيادتكم.. وسيكون يشوع قائدُكم كما وعد الرب.... وكان الرب قد قال لموسى: ها أنت قد أوشكتَ على الموت، وأيام حياتك باتت معدودة، فادعُ يشوع، وقفا كلاكما عند خيمة الاجتماع لكي أوصيه.... وقال الرب لموسى: ما إن تموت وتلحق بأباك حتى يُسرّع هذا الشعب ويفجروا وراء آلهة الغرباء.... وعندما أتم موسى تدوين نصوص هذه التوراة كاملة في كتاب، أمر اللاويين حاملِي تابوت عهد الرب قائلاً: «خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه إلى جوار تابوت عهد الرب إلهكم، ليكون هناك شاهداً عليكم، لأنني أعرف تمردكم وقساوة قلوبكم. إذ وأنا مازلت حياً معكم اليوم أخذتم في مقاومة الرب. فكم بالأحرى تتمردون بعد موتي؟»^(١).

إنَّ النص السابق يذكّرنا بما جرى يوم الغدير حيث أوصى النبي المسلمون بالأخذ بأمرين، حيث قال لما أنهى حجة الوداع وخرج باتجاه

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح ٣١.

المدينة ومعه عشرات الآلاف من المسلمين العائدين من الحج، فتوقف بالقرب من الجحفة حيث غدير خم فنزل هناك ونادى بالصلاة جامعة، فصلى الظهر ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال:

(إني أوشك أن أدعى فأجيب، واني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلغت ونصحت فجزاك الله خيراً، قال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق؟ قالوا: بلى نشهد ذلك. قال: اللهم اشهد. ثم قال: ألا تسمعون؟ قالوا: نعم، قال: يا أيها الناس إني فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وإن عرضة ما بين بُصرى^(١) إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قد حان من فضة، وإني سألکم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتابُ الله، طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنَّهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، سألتُ ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلکوا، ولا تَقْصِرُوا عنهما فتهلکوا، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم. ثم قال: أَلستم تعلمون أني أولى بالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أَلستم تعلمون أو تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى يا رسول الله. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما، ثم قال: أيها الناس! الله مولاي وأنا مولاكم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبه، وبغض من أبغضه. ثم قال: اللهم اشهد^(١).

وتوفي نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَام وقاد وصيه يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَام بني إسرائيل، وحقق لهم الانتصارات على أعدائهم الوثنيين، وقبل وفاته قال لهم:

(وَالآن اتَّقُوا الرَّبَّ وَاعْبُدُوهُ بِكُلِّ أَمَانَةٍ، وَانزِعُوا الْأَوْثَانَ الَّتِي عَبَدَهَا آبَاؤُكُمْ)^(٢).

وبعد زمن من وفاة الوصي يوشع بن نون، عاد بنو إسرائيل إلى الشرك وفعل الموبقات، فابتلاهم الله عَزَّجَلَّ بأعدائهم الذين استضعفوهم، ووقعت مسؤولية الحفاظ على الرسالة من بعده على **الأسباط** «القضاة» الواحد تلو الآخر، فواجهوا الانحراف عن توحيد الله وعن طاعته فيما أمر ونهى، حتى عُبر عنهم بالأبطال، لأنهم كانوا أبطال دعوة التوحيد والحفاظ على رسالة السماء وشريعة الله عَزَّجَلَّ. جاء في كتاب «التفسير التطبيقي للكتاب المقدس»:

(يُغْطِي سَفَرُ الْقَضَاةِ مَا يَزِيدُ عَلَى ٣٢٥ عَاماً، مَسْجُلاً سِتَّ فترات متعاقبة من الاضطهاد والحرية، مستعرضاً سيرة اثني عشر محرراً).

(١) العسكري: معالم المدرستين، ج ١، ص ٣٠٢-٣٠٤ نقلاً عن مصادر عديدة من كتب المسلمين.

(٢) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: العهد القديم، سفر يشوع، الإصحاح ٢٤.

(وسفر القضاة هو سفر الأبطال، إذ نجد فيه اثني عشر رجلاً وسيدة).

(وعندما نقرأ سفر القضاة، علينا أن نلقي نظرة فاحصة على هؤلاء الأبطال... ملاحظين اتكالهم على الله وطاعتهم لأوامره)^(١).

بالطبع يجب أن أتبه أن هذا السفر كباقي أسفار الكتاب المقدس قد تعرض للتحريف والتلاعب، ففي حين أن اليهود والنصارى يُقرّون الدور العظيم الذي قام به **الأسباط** في الدعوة إلى توحيد الله وطاعته، إذ بهم ينسبون إليهم فعل بعض الأمور الشنيعة! تماماً كما فعلوا من قبل مع إبراهيم ولوط وداود وسليمان. وفيما يلي بعض النماذج من الافتراءات التي جاء بشأن بعض أنبياء الله ورسله المكرمين، ففي «سفر التكوين»:

النبي نوح عليه السلام: (واشتغل نوح بالفلاحة وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعري داخل خيمته، فشاهد حام أبو الكنعانيين عري أبيه، فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا خارجاً. فأخذ سام ويافث رداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا القهقري إلى داخل الخيمة، وسترا عري أبيهما من غير أن يستديرا بوجهيهما نحوه فيبصرا عريه. وعندما أفاق نوح من سكره وعلم ما فعله به ابنه الصغير قال: «ليكن كنعان ملعوناً، وليكن عبد العبيد لإخوته»)^(٢).

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٤٧٢.

(٢) العهد القديم: سفر التكوين، الإصحاح ٩.

النبي إبراهيم عليه السلام : (ثم تابع أبرام ارتحاله نحو الجنوب. وعمت تلك البلاد مجاعة، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب فيها لأن المجاعة كانت شديدة في الأرض. وما إن اقترب من تخوم مصر حتى قال لزوجته ساراي: «أنا أعرف أنك امرأة جميلة، فما إن يراك المصريون حتى يقولوا: هذه هي زوجته فيقتلونني ويستحيونك. لذلك قولي إنك أختي، فيحسنوا معاملتي من أجلك وتنجو حياتي بفضلك». ولما اقترب أبرام من مصر استرعى جمال ساراي أنظار المصريين، وشاهدها أيضاً رؤساء فرعون فأشادوا بها أمامه. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. فأحسن إلى أبرام بسببها وأجزل له العطاء من الغنم والبقر والحمير والعبيد والإماء والأثُن والجمال. ولكن الرب ابتلى فرعون وأهله ببلايا عظيمة بسبب ساراي زوجة أبرام. فاستدعى فرعون أبرام وسأله: «ماذا فعلت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها زوجتك؟ ولماذا ادّعت أنها أختك حتى أخذتها لتكون زوجة لي؟ والآن ها هي زوجتك، خذها وامض في طريقك». وأوصى فرعون رجاله بأبرام، فشيّعوه وامراته وكل ما كان يملك^(١).

النبي لوط عليه السلام : (وغادر لوط وابنتاه بعد ذلك صوغر، واستقروا في الجبل لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فلجأ هو

(١) العهد القديم: سفر التكوين، الإصحاح ١٢.

وابنتاه إلى كهف هناك. فقالت الابنة البكر لأختها الصغيرة:
«إن أبانا قد شاخ وليس في الأرض حولنا رجل يتزوجنا كعادة
كل الناس. فتعالى نسقيه خمرًا ونضطجع معه فلا تنقطع
ذرية أبينا». فسقتا في تلك الليلة أباهما خمرًا، وأقبلت الابنة
الكبرى وضاجعت أباهما فلم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها.
وفي اليوم الثاني قالت الابنة البكر لأختها الصغيرة: «إني
قد اضطجعت مع أبي ليلة أمس، فتعالى نسقيه الليلة
أيضاً خمرًا ثم ادخلي واضطجعي معه فنحيا من أبينا
نسلًا». فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضاً وأقبلت
الابنة الصغيرة وضاجعت أباهما. فلم يعلم باضطجاعها ولا
بقيامها. وهكذا حملت الابنتان كلتاهما من أبيهما. فولدت
الكبرى ابناً دعتة موآب «ومعناه من الأب»، وهو أبو الموآبيين
إلى اليوم، أما الصغرى فولدت ابناً ودعتة «بن عمي» «ومعناه
ابن قومي» وهو أبو بني عمون إلى اليوم^(١).

والذي يجعلنا مطمئنين من براءة الأسباط من تلك الاتهامات، أن الله
ذكرهم في مصاف الرسل والنبیین:

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(٢).

(١) العهد القديم: سفر التكوين، الإصحاح ١٩.

(٢) سورة آل عمران: ٨٤.

تحريف الكتاب:

بالطبع، فإن وجود التحريف في الكتاب المقدس لا يعني رفضه بأجمعه وسقوطه بتمامه عن الحُجَّة، وإلا كيف أرجع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ في أكثر من مورد في القرآن الكريم محتجاً عليهم بما فيه؟ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَكَانُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ..... وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ..... وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ..... قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(١).

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢).

وهذا يعني أن في الكتب التي كانت بأيديهم شيء من المصادقية، وإلا

(١) سورة المائدة: ٦٨-٤٣.

(٢) سورة يونس: ٩٤.

لما أحالهم إليها للتأكد مما جاء في القرآن:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ الْمَنَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾^(١).

واستعمال الآية لصيغة المضارع ﴿يَتْلُونَ﴾ دليل على أن الله عز وجل يتحدث عن الكتب السماوية التي بين أيديهم على عهد النبي ﷺ، فإنهم لو رجعوا إليها - على الرغم من كونها محرّفة في بعض مواردّها - سيجدون شيئاً من تعاليم الله التي لم تصل إليها يد التحريف، وفيها ما يتعارض مع تكفير بعضهم لبعض، واتّهام بعضهم لبعض.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالٌ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى
نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

والأمر بأن نطلب من أهل الكتاب إحضار التوراة وتلاوتها، إن كانوا صادقين في نقل ما يخالف ذلك، دليل على وجود ما لم يُحرّف، وإلا كيف يمكن الاستشهاد به والمحااجة عن طريقه؟ ومن هنا دأب العلماء المسلمون على الاستشهاد بموارد من الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ وأنه مذكور في بشارات الأنبياء ابتداء من النبي إبراهيم الخليل عليه السلام ومروراً بالنبي موسى بن عمران عليه السلام وانتهاء بالنبي عيسى بن مريم عليهما السلام، وقد ألفوا كتباً في هذا المضمار، ولو كان الكتاب المقدّس بأكمله محرّفاً لما صحّ لهم ذلك، ولما كانت لنتائجهم أية مصداقية.

(١) سورة البقرة: ١١٣.

(٢) سورة آل عمران: ٩٣.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ
عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
وَعَزَّزُوا وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٢).

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

قال العلامة السيد محمد حسين فضل الله في تفسير الآية الأخيرة:

(ويؤكد القرآن من جديد أن أهل الكتاب لا يعيشون حالة
جهل للنبي ولرسالته، فقد عرفتهم التوراة صفاته جيداً،
فعرفوه في وضوح من الرؤية كما عرفوا أبناءهم، ولكنهم
يكتُمون الحق وهم يعلمونه نتيجة عنادهم وتمردهم
وضلالهم)^(٤).

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) سورة الصف: ٦.

(٣) سورة البقرة: ١٤٦.

(٤) فضل الله: من وحي القرآن، في تفسير الآية ١٤٦ من سورة البقرة.

كما وقام علماؤنا بدراسة الكتاب المقدس لإثبات مصداقية القرآن الكريم في بعض موارده، ونفهم بعض ما أشار إليه القرآن من قصص الماضين، وللاستدلال على إمامة العترة من أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغير ذلك من قضايا متعدّدة تجلّعنا نصل إلى نتيجة واحدة وهي أن الكتاب المقدس يشتمل على ما لم تمتد إليه يد التحريف، وإن تشوّهت عباراته أحياناً، وتغيّرت أحياناً أخرى بعض كلماته من نسخة إلى أخرى ومن ترجمة إلى ترجمة لسبب أو لآخر.

وممن استخدم هذا الأسلوب من العلماء:

١. الشيخ أبو عبدالله محمد بن إبراهيم النعماني «ت ٣٦٠هـ» في كتابه «الغيبة».
٢. الشيخ محمد جواد البلاغي «ت ١٣٥٢هـ» في كتابه «الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة».
٣. السيد مرتضى العسكري «ت ١٤٢٨هـ» في كتابه «معالم المدرستين» وفي كتابه الآخر «عقائد الإسلام من القرآن الكريم».
٤. تامر مير مصطفى في كتابه «بشائر الأسفار بمحمد وآله الأطهار».
٥. عبد الوهاب النجار «ت ١٣٦٠هـ» في كتابه «قصص الأنبياء».
٦. المهدي عبد الأحد داود «ت ١٩٤٠م» في كتابه «محمد في الكتاب المقدس». وكان اسم المؤلف ديفيد بنجامين كلداني، وكان أستاذاً في علم اللاهوت، وقسيساً لطائفة الكلدان الكاثوليك، ومطلعاً على عدة لغات. وبعد دراسة للكتاب المقدس اعتنق الإسلام.

٧. المهدي اللبناني الشهيد الشيخ محمد جان وهبي أبو جودة، مسيحي أسلم واتبع مدرسة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتابه: «الإسلام ورسوله في التوراة والإنجيل».

٨. الحاج إبراهيم أحمد في كتبه «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن»، «حدود الله: التوراة والإنجيل والقرآن»، «الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن»، «المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن». والمؤلف في الأصل قسيس مصري واسمه السابق «إبراهيم فيلوبوس» وكان راعياً للكنيسة الإنجيلية، وأستاذاً للاهوت، أسلم على يديه عدد كبير من الناس.

٩. د. محمد توفيق صدقي «ت ١٩٢٠ م» في كتابه «بشائر عيسى ومحمد في العهد القديم والعهد الجديد».

١٠. الباحث المغربي المعاصر د. حفيظ اسليمان في كتابه «إثبات نبوة محمد ﷺ من خلال التوراة والإنجيل».

١١. د. أحمد حجازي السقا في كتابه «البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل».

١٢. العميد المهندس جمال الدين شرفاوي في كتبه «المسيح والمسيح»، و«قضايا جديدة في المسيحية والإسلام»، و«نبي أرض الجنوب»، و«لكن شبه لهم»، و«يحيى أم يوحنا».

وقد كان للداعية الإسلامي الراحل أحمد ديدات «ت ٢٠٠٥ م» جهوداً كبيرة في هذا الإطار، وهي مسجلة ومثبتة من خلال قنوات الفيديو على شبكة الإنترنت.

بل إن بين أيدينا نصوصاً تبين أن بعض أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَام حَاجُّوا أهل الكتاب بالكتاب المقدس، ومن ذلك الخبر التالي الذي رواه الشيخ الصدوق عن بعض حوارات الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَام مع بعض علماء أهل الكتاب:

(.... قال الرضا عَلَيْهِ السَّلَام لقسطاس الرومي: كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل؟ قال: ما أحفظني له، ثم التفت إلى رأس الجالوت فقال له: أأست تقرأ الإنجيل؟^(١) قال: بلى لعمرى. قال: فخذ على السفر الثالث، فإن كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وأمته فاشهدوا لي، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي، ثم قرأ عَلَيْهِ السَّلَام السفر الثالث حتى إذا بلغ ذكر النبي ﷺ وقف، ثم قال: يا نصراني إني أسألك بحق المسيح وأمه أتعلم أنني عالم بالإنجيل؟ قال: نعم. ثم تلا علينا ذكر محمد وأهل بيته وأمته، ثم قال: ما تقول يا نصراني؟ هذا قول عيسى بن مريم؟ فإن كذبت ما ينطق به الإنجيل فقد كذبت عيسى و موسى عَلَيْهِمَا السَّلَام، ومتى أنكرت هذا الذكر، وجَبَ عليك القتل، لأنك تكون قد كفرت بربك ونبيك وبكتابك. قال الجاثليق: لا أنكر ما قد بان لي في الإنجيل، وإني لمُقر به، قال الرضا عَلَيْهِ السَّلَام: اشهدوا على إقراره)^(٢).

(١) من المحتمل أن يكون المراد هنا الكتاب المقدس بقسميه القديم والجديد لا خصوص الإنجيل، وأن الراوي أخطأ في نقل الرواية هنا.

(٢) الصدوق: التوحيد، ص ٤٢٠-٤٢١.

فكيف يتسنى للإمام الاستشهاد بما في ذلك السفر في الوقت الذي نقول فيه أن كل الكتاب المقدس محرّف وغير قابل للاعتماد عليه؟ ثم إنه لا يقول بهذا إلا مَنْ لم يطلّع على نصوصه، حيث أن فيه مجموعة من مواطن اللقاء مع ما جاء في القرآن الكريم إلى درجة أنهم اتّهموا النبي ﷺ بأنه أخذ ما في القرآن عن كتبهم التي كانت متداولة في ذلك العهد:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي^(١) وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ^(٢)﴾.

ووجود التشابه دليل على أن تلك المواضع لم تحرّف:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهِيمًا عَلَيْهِ^(٣)﴾.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصة البشارة التي جاءت بها الملائكة للخليل إبراهيم عليه السلام بأن سارة ستحمل بإسحاق على الرغم من شيخوختها:

(فرفع عينيه وإذا به يرى ثلاثة رجال ماثلين لديه. فأسرع لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال: «ياسيدي، إن كنت قد حظيت برضائك فلا تعبر عن عبدك. بل دعني أقدم لكم بعض ماء تغسلون به أرجلكم وتتكئون تحت الشجرة، ثم آتي لكم بلقمة خبز تسندون بها قلوبكم، وبعد ذلك تواصلون مسيرتكم، لأنكم قد ملتم إلى بيت

(١) وهي لغات الأسفار وكانت بالعبرية والآرامية والسريانية وغيرها.

(٢) سورة النحل: ١٠٣.

(٣) سورة المائدة: ٤٨.

عبدكم». فأجابوه: «حسناً، ليكن كما قلت». فأسرع إبراهيم إلى داخل الخيمة إلى زوجته سارة وقال: «هيا أسرعي واعجني ثلاث كيلات من أفضل الدقيق واخبزيها». ثم أسرع إبراهيم نحو قطيعه واختار عجلًا رخصاً طيباً وأعطاه لغلام كي يجهزه. ثم أخذ زبدًا ولبنًا والعجل الذي طبخه، ومدها أمامهم، وبقي واقفًا في خدمتهم تحت الشجرة وهم يأكلون. ثم سأله: «أين زوجتك؟» فأجاب: «ها هي في الخيمة». فقال: «إني أرجع إليك في مثل هذا الوقت من السنة القادمة فتكون سارة آنئذ قد ولدت لك ابناً». وكانت سارة وراءه، عند باب الخيمة، فسمعت حديثه. وكان إبراهيم وسارة عجوزين طاعنين جداً في السن وقد تجاوزت سارة سن اليأس. فضحكت سارة في نفسها قائلة: «أبعد أن فني عمري وأصبح زوجي شيخاً يكون لي هذا التمتع؟». فقال الرب لإبراهيم: «لماذا ضحكت سارة قائلة: أحقاً ألد ابناً وقد بلغت سن الشيخوخة؟ أيتعذر على الرب شيء؟ سأرجع إليك في مثل هذا الوقت من السنة القادمة فتكون سارة قد أنجبت ابناً»^(١).

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ، فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ

لُوطَ، وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسْرَنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ
إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ^(١).

بالطبع لا يخفى ما في النص السابق من تلاعب وتحريف عند المقارنة مع الآيات القرآنية، إلا أنهما يتلاقيان عموماً ويتشابهان في الجو العام للقصة. ومثل ذلك ما جاء في قصة النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَام مع قومه حين أمرهم بأن يدخلوا الأرض المقدسة فخافوا وامتنعوا:

(فصعدوا وتجسسوا الأرض.... ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً. فساروا حتى أتوا إلى موسى وهارون وكل جماعة بني إسرائيل، إلى بركة فاران، إلى قادش، وردوا إليهما خبراً وإلى كل الجماعة وأروهم ثمر الأرض. وأخبروه وقالوا: «قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً، وهذا ثمرها. غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز^(٢)، والمدن حصينة عظيمة جداً. وأيضاً قد رأينا بني عناق هناك. العمالقة ساكنون في أرض الجنوب، والحيثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن». لكن كآب أنصت الشعب إلى موسى وقال: «إننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها». وأما الرجال الذين صعدوا معه

(١) سورة هود: ٦٩-٧١.

(٢) أي يمتلك عدة وعتاداً ورجالاً أشداء.

فقالوا: «لا نقدر أن نصعد إلى الشعب، لأنهم أشد منا». فأشاعوا مذمة الأرض التي تجسسوها، في بني إسرائيل قائلين: «الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها، وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة. وقد رأينا هناك الجبابرة، بني عناق من الجبابرة. فكنا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم». رفعت كل الجماعة صوتهما وصرخت، وبكى الشعب تلك الليلة. وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل، وقال لهما كل الجماعة: «ليتنا متنا في أرض مصر، أو ليتنا متنا في هذا القفر! ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف؟ تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة. أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر؟» فقال بعضهم لبعض: «نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر». فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بني إسرائيل. ويشوع بن نون وكالب بن يفنة، من الذين تجسسوا الأرض، مزقاً ثيابهما وكلّما كل جماعة بني إسرائيل قائلين: «الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها جيدة جداً جداً. إن سرّ بنا الرب يدخلنا إلى هذه الأرض ويعطينا إياها، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً. إنما لا تتمردوا على الرب، ولا تخافوا من شعب الأرض لأنهم خبزنا. قد زال عنهم ظلمهم، والرب معنا. لا تخافوهم»^(١).

(١) العهد القديم: سفر العدد، الإصحاح ١٣-١٤.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ، قَالَ رَجُلَانِ (١) مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وهكذا نجد في إنجيل متى النص التالي:

(في ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس عند البحر، فاجتمع إليه جموع كثيرة حتى أنه دخل السفينة وجلس. والجمع كله وقف على الشاطئ. فكلهم كثيراً بأمثال قائلاً: «هو ذا الزارع قد خرج ليزرع، وفيما هو يزرع سقط بعضٌ على الطريق، فجاءت الطيور وأكلته. وسقط آخر على الأماكن المحجَّرة حيث لم تكن له تربة كثيرة، فنبت حلاًلاً إذ لم يكن له عمق أرض. ولكن لما أشرقت الشمس احترق وإذا لم يكن له أصل جف. وسقط آخر على الشوك فطلع الشوك وخنقه. وسقط آخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمرًا، بعض مئة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين. من له أذنان

(١) وهما كالب ويوشع المذكورين في النص التوراتي.

(٢) سورة المائدة: ٢٠-٢٣.

للسمع فليسمع». فتقدم التلاميذ وقالوا له: «لماذا تكلمهم بأمثال؟» فأجاب: «لأنه قد أعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السماوات، وأما لأولئك فلم يعط. فإن من له سيعطى ويزاد، وأما من ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه. من أجل هذا أكلمهم بأمثال لأنهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون، ولا يفهمون....» فاسمعوا أنتم مثل الزارع: كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه. هذا هو المزرع على الطريق. والمزرع على الأماكن المحجرة هو الذي يسمع الكلمة وحالاً يقبلها بفرح، ولكن ليس له أصل في ذاته، بل هو إلى حين. فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالاً يعثر. والمزرع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر. وأما المزرع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم. وهو الذي يأتي بثمر فيصنع بعض مئة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين.... قال لهم مثلاً آخر: «يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله وهي أصغر جميع البزور. ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصير شجرة، حتى أن طيور السماء تأتي وتتاوى في أغصانها»^(١).

النص السابق يذكرنا ببعض نصوص القرآن من قبيل قوله تبارك وتعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ، يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٢).

والتعبير بـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ يُحتمل أن يكون نوعاً من الإحالة إلى مصدرٍ ما، وقد سمع الناس ذلك المثل من قبل، وما أقرب أن يكون هذا المصدر هو النص الإنجيلي السابق. ومثل هذه الموارد موارد أخرى كلها تؤكد على وجود نصوص في الكتاب المقدس لم تصلها يد التحريف.

إنجازات الأسباط:

جاء في سفر القضاة أي **الأسباط** في وصف أوضاع بني إسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون:

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٤-٢٧.

(واقترف بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا
البعليم^(١))، ونبذوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من ديار
مصر، وغووا وراء آلهة أخرى من أوثان الشعوب المحيطة
بهم، وسجدوا لها، فأغاظوا الرب. تركوا الرب وعبدوا البعل
وعشتاروث. فاحتم غضب الرب على إسرائيل وتركهم تحت
رحمة الناهبين الغزاة. وأسلمهم إلى أعدائهم المحيطين
بهم فعجزوا عن مقاومتهم. وحيثما خرجوا لخوض الحرب
كان الرب ضدهم فينكسرون، تماماً كما سبق وحذرهم،
فاعتراهم ضيق عظيم جداً^(٢).

ثم جاء دور الأسباط:

(وأقام الرب من بينهم قضاة فأنقذوهم من أيدي غزاتهم)^(٣).

وفي العبرية:

(יִבְרָם יְהוָה, שְׁפֹטִים; וַיּוֹשִׁיעוּם, מִיַּד שְׂטֵינֵם)

والكلمة الثالثة: **שְׁפֹטִים** وتقرأ «شوپطيم - شوفطيم» أي **الأسباط** - ويبدأ
السفر ببيان دور كل واحد من أولئك الأسباط، ويمكن تلخيص الأدوار التي
قاموا بها كالتالي:

١. أعادوا بني إسرائيل إلى توحيد الله وطاعته. فقد توالى مشهد عودة
بني إسرائيل إلى الشرك مع وفاة كل واحد من أولئك الأسباط، ليأتي سبط

(١) أي الإله الوثن بعل.

(٢) العهد القديم: سفر القضاة، الإصحاح ٢.

(٣) العهد القديم: سفر القضاة، الإصحاح ٢.

آخر ويعيدهم إلى الجادة:

(وفي كل مرة كان الرب يقيم قاضياً كان يؤيده بقوة طوال حياته فيخلص الشعب من عبودية أعدائه إذ يشفق الرب عليهم مما يسومهم مضايقوهم وظالموهم من عذاب؛ فكان الرب ينقذهم طوال حياة القاضي. ولكن ما إن يموت القاضي حتى يرتدوا عن الرب ويتفاقم فسادهم أكثر من تفاقم فساد آبائهم بالسعي وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها. لم يرتدعوا عن أفعالهم وسلوكهم العنيد)^(١).

٢. التربية الروحية والإيمانية، وقد كان للسيدة الوحيدة بين **الأسباط**، واسمها دُبُورَة دور في ذلك، ونقل سفر القضاة بعضاً من «أناشيدها» أي مناجياتها وابتهالاتها وأدعيتها. وفي «التفسير التطبيقي للكتاب المقدس»:

(وقصتها تُثبت أنها لم تكن تسعى إلى السلطة، بل كانت تريد أن تخدم الله. وكلما مدحها الناس، كانت ترجع بالفضل إلى الله. لم تُنكر وضعها في حضارة المجتمع كامرأة وزوجة، أو تتمرد عليه، ولكنها لم تسمح مطلقاً أن يكون ذلك عائقاً أمامها... وتضع أمامنا حياة دُبُورَة تحديات في جوانب عديدة، فهي تذكرنا بالحاجة إلى أن نكون تحت تصرف الله... وتبين لنا بوضوح ما يستطيع شخص أن يعمل عندما يكون المسيطر هو الله)^(٢).

(١) العهد القديم: سفر القضاة، الإصحاح ٢.

(٢) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٤٩٣.

٢. خوض الحروب من أجل تحرير بني إسرائيل من العبودية والاضطهاد.
فبعد أن غَضِبَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لِشِرْكِهِمْ غَزَاهُمْ أَحَدَ الْمُلُوكِ
فَاسْتَعْبَدَهُمْ ثَمَانِ سِنُونَ وَعِنْدَهَا:

(استغاث بنو إسرائيل بالرب، فأقام لهم مخلصاً أنقذهم هو
عثنئيل بن قناز أخو كالب^(١) الأصغر. فحل عليه روح الرب
وصار قاضياً لإسرائيل).

ثم يصف النص كيف حرّر عُثْنَيْيْلُ بني إسرائيل من العبودية.

٤. التضحية والفداء بالمال والنفس، كل ذلك في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ ومن
أجل المباديء والقيم التي نهضوا من أجلها، وتحملوا مسؤوليتها بأمرٍ من
الله، ولو كلفهم ذلك أن يقدموا أنفسهم قرايين في هذا الطريق.

فنجد - على سبيل المثال - آخر الأسباط واسمه شمشون^(٢) بن منوح
الذي، وهو كما في «التفسير التطبيقي للكتاب المقدس»:

(ممن آمنوا بالله، ونالوا ما وعدهم الله)^(٣).

يُدمر معبد الوثنيين بتدمير العمودين الذين يرتكز عليهما السقف، فإذا
بالمعبد ينهار على الأصنام وعلى الوثنيين وعلى نفسه، وهو مكبل بالقيود
بعد أسره، وقد اقتلعت عيناه. وبندائه في لحظة الفداء يضرب المثل القائل:

(١) كالب هو أحد الرجلين المذكورين في قوله عَزَّ وَجَلَّ: «قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» «سورة
المائدة: ٢٣».

(٢) شمشون اسم عبري معناه «شمس».

(٣) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٥١٩.

«عليّ وعلى أعدائي يا رب»، وله موقف آخر شبيهه بموقف أمير المؤمنين علي حين قلع باب خيبر بيده:

(ثم قام في نصف الليل وأخذ مصراعي باب المدينة والقائمتين وقلعهما مع العارضة، ووضعها على كتفيه وصعد بها إلى رأس الجبل الذي مقابل حبرون)^(١).

نبوة المرأة:

ولابد أن أقول في نهاية المطاف أنّ قبول النتائج السابقة وتقوية احتمال كون **الأسباط** من الأنبياء وفق ما ذكرتُ في نهاية الفصل الثاني، سيعني القول بوجود نبوة بين مجموعة **الأسباط**، وهي دبورة، فهل يمكن قبول هذه النتيجة المترتبة؟

الكتاب المقدس صرح بوجود نساء كنّ نبيّات، وقد جاء في «قاموس الكتاب المقدس: دائرة المعارف الكتابية المسيحية»:

(النبية، النبيّات: هن الإناث من الأنبياء. وهن في الكتاب المقدس مريم أخت موسى وهرون..... ودبورة..... وحنة أم صموئيل..... وخلدة امرأة شلوم..... وحنة بنت فنوئيل..... وبنات فيلبس الأربع..... ولم يذكر الكتاب نبية غيرهن)^(٢).

وأما عند المسلمين فالمسألة كانت مطروحة قديماً وهي خلافية، قال ابن حزم الأندلسي تحت عنوان «نبوة النساء»:

(١) العهد القديم: سفر القضاة، الإصحاح ١٦.

(٢) https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/25_N/N_026.html

(هذا فصلٌ لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه إلا عندنا بقرطبة، وفي زماننا، فإن طائفة ذهب إلى إبطال كون النبوة في النساء جملةً، وبدعت من قال ذلك، وذهبت طائفة إلى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة، وذهبت طائفة إلى التوقف في ذلك)^(١).

وكتب الشيخ حسين أنصاريان مقالاً بعنوان «نبوة النساء» استعرض فيه أولاً أدلة القائلين بجواز ذلك، بل ووقوعه، ثم ردّ تلك الأدلة متمسكاً بعدم صحة القول بوجود أية نبية عبر تاريخ الرسالات، قال:

(ذهب بعض العلماء إلى أن الله أنعم على بعض النساء بالنبوة، فمن هؤلاء أبو الحسن الأشعري والقرطبي وابن حزم. والذين يقولون بنبوة النساء متفقون على نبوة مريم، ومنهم من ينسب النبوة إلى غيرها ويعدون من النساء النبيات: حواء وسارة وأم موسى وهاجر وآسية. وهؤلاء عندما اعترض عليهم بالآية التي تحصر الرسالة في الرجال دون النساء، قالوا: نحن لا نخالف في ذلك، فالرسالة للرجال، أما النبوة فلا يشملها النص القرآني، وليس في نبوة النساء تلك المحذورات التي عدتموها فيما لو كان من النساء رسول، لأن النبوة قد تكون قاصرة على صاحبها، يعمل بها، ولا يحتاج إلى أن يبلغها إلى الآخرين.... وحجة هؤلاء أن القرآن أخبر بأن الله سبحانه وتعالى

(١) ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١٢.

أَوْحَى إِلَى بَعْضِ النِّسَاءِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَوْحَى إِلَى أُمِّ مُوسَى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١)، وأرسل جبريل إلى مريم فحاطبها ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا....﴾^(٢)، وحاطبتها الملائكة قائلة: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٣).

فأبو الحسن الأشعري يرى أن كل من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نهى أو باعلام فهو نبي، وقد تحقق في أم موسى ومريم شيء من هذا، وفي غيرهما أيضاً، فقد تحقق في حواء وسارة وهاجر وآسية بنص القرآن. واستدلوا أيضاً باصطفاء الله لمريم على العالمين ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، وبقوله ﷺ: (كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ)^(٤). قالوا: الذي يبلغ مرتبة الكمال هم الأنبياء.

(١) سورة القصص: ٧.

(٢) سورة مريم: ١٧-١٨.

(٣) سورة آل عمران: ٤٢-٤٣.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، في تفسيره الآية ٤٢ من سورة آل عمران، ورواه بلفظ آخر كالتالي: (كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ثَلَاثٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَضْلٌ عَائِشَةُ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ).

الردّ عليهم: وهذا الذي ذكروه لا ينهض لإثبات نبوة النساء، والردّ عليهم من وجوه: الأول: أننا لا نسلّم لهم أن النبيّ غير مأمور بالتبليغ والتوجيه ومخالطة الناس، والذي اخترناه أن لا فرق بين النبيّ والرسول في هذا، وأنّ الفرق واقع في كون النبي مرسل بتشريع رسول سابق. وإذا كان الأمر كذلك فالمحذورات التي قيلت في إرسال رسول من النساء قائمة في بعث نبي من النساء، وهي محذورات كثيرة تجعل المرأة لا تستطيع القيام بحق النبوة. الثاني: قد يكون وحي الله إلى هؤلاء النسوة أم موسى وآسية.. إنّما وقع مناماً، فقد علمنا أنّ من الوحي ما يكون مناماً، وهذا يقع لغير الأنبياء. الثالث: لا نسلّم لهم قولهم أن كل من خاطبته الملائكة فهو نبي، ففي الحديث أن الله أرسل ملكاً لرجل يزور أخاً له في الله في قرية أخرى، فسأله عن سبب زيارته له، فلمّا أخبره أنه يحبّه في الله، أعلمه أنّ الله قد بعثه إليه ليخبره أنه يحبّه، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى معروفة، وقد جاء جبريل يُعلّم الصحابة أمر دينهم بسؤال الرسول ﷺ، والصحابة يشاهدونه ويسمعونه. الرابع: أن الرسول ﷺ توقّف في نبوة ذي القرنين مع إخبار القرآن بأنّ الله أوحى إليه ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتُ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتُ تُتَخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا﴾^(١).

الخامس: لا حجة لهم في النصوص الدالة على اصطفاء الله لمريم، فالله قد صرح بأنه اصطفى غير الأنبياء: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾^(١)، واصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ومن آلهما من ليس بنبي جزماً ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢). السادس: لا يلزم من لفظ الكمال الوارد في الحديث الذي احتجوا به النبوة، لأنه يُطلق لتمام الشيء، وتناهيه في بابهِ، فالمراد بلوغ النساء الكمالات النهائية في جميع الفضائل التي للنساء، وعلى ذلك فالكمال هنا كمال غير الأنبياء. السابع: ورد في بعض الأحاديث النص على أن خديجة من الكاملات، وهذا يبين أن الكمال هنا ليس كمال النبوة. الثامن: ورد في بعض الأحاديث أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم ابنة عمران، وهذا يُبطل القول بنبوة من عدا مريم كأم موسى وآسية، لأن فاطمة ليست بنبيّة جزماً؛ وقد نصّ الحديث على أنها أفضل من غيرها، فلو كانت أم موسى وآسية نبيّتان لكانتا أفضل من فاطمة. التاسع: وصف مريم بأنها صديقة في مقام الثناء عليها والإخبار بفضلها، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا

(١) سورة فاطر: ٢٢.

(٢) سورة آل عمران: ٣٣.

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ
الطَّعَامَ^(١)، فلو كان هناك وصف أعلى من ذلك لوصفها
به، ولم يأت في نصِّ قرآني ولا في حديث نبويٍّ صحيح
إخبارُ بنبوة واحدة من النساء^(٢).

والحقيقية أن الأدلة التي قدّمها الشيخ أنصاريان لا تنهض بالمطلوب
وليست كافية للقطع بعدم إمكانية تكليف المرأة بالنبوة، فإننا وإن كنّا
نوافقه في عدم ضرورة دلالة الوحي على النبوة، ولا دلالة الاصطفاء على
ذلك أيضاً، إلا أن بعض الأدلة التي قدّمها يمكن ردّها، فأصل إمكانية
التبليغ متصورٌ بحق المرأة، ولنفترض - على أسوأ تقدير - اقتصاره على
الدائرة النسائية مثلاً بحيث تكون مهمّتها النبويّة محدودة بهذا الإطار،
بالإضافة إلى قيامها بحفظ إرث بعض الأنبياء السابقين وإيصاله إلى مَنْ
يأتي بعدها.

وأما مسألة الكمال في حدّ ذاتها فلا يصح زجّها في مسألة النبوة، لا
سلباً ولا إيجاباً، فقد تفرض بعض الظروف عدم نبوة إنسان يمتلك كمالات
قد يتفوّق بها على نبيٍّ دون أن يكون بنفسه نبياً، ويمكن ضرب مثال العبد
العالم الذي أمر الله نبيّه موسى بن عمران بلقائه والاستفادة منه والتعلّم
على يديه، وما جرى على يديه من أمورٍ لم يستطع نبي الله موسى فهمها ولا
التعامل معها، على الرغم من أنه من أولي العزم الخمسة، ولا يُعلّم على نحو
التأكيد ما إذا كان ذلك العبد العالم نبياً أصلاً.

(١) سورة المائدة: ٧٥.

(٢) <http://www.erfan.ir/arabic/33727.html>

وقد حاز أئمة أهل البيت عليهم السلام على كمالات كثيرة، ومع هذا كان ختم النبوة بمحمد ﷺ مانعاً من نبوة أحدهم كما صرح النبي بقوله لعلي: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

وأما الدليل التاسع الذي جاء به الشيخ أنصاران فليس بقوي ولا يصح التمسك به لمنع وجود امرأة في سلسلة الأنبياء.

نعم لربما أمكن التمسك بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾^(١)، وهذا ما أشار إليه الشيخ حسين الخشن في كتابه «المرأة في النص الديني»، فهو في الوقت الذي يؤكد فيه أهليتها لهذا المقام وعدم وجود المانع الذاتي لبلوغها مقام النبوة وأن لا شيء في القرآن يخالف هذه القناعة المتحصلة لديه، إلا أن الواقع الاجتماعي الذكوري كان هو المانع من تكليف المرأة بالنبوة.

وذكر الشيخ الخشن أن هذه القضية من القضايا الإشكالية المطروحة في مقام الحديث عن موقف الدين من المرأة وأنه لماذا كان اختيار الأنبياء بأجمعهم من الذكور؟ مستشهداً بالآية السابقة، ومضيفاً أن في هذه الآية ما قد يدل أو يشير إلى أن المرأة غير مؤهلة لمقام النبوة، وأن في ذلك ظلماً من قبل الدين وتهميشاً للمرأة - في رأي البعض - .

ثم علق على ما سبق معتبراً أن عدم إرسال أو بعثة نبي من بين النساء ليس مردّه إلى نقص ذاتي في المرأة يمنعها من الوصول إلى مرتبة عالية من الكمال الروحي كالتّي يتطلبها مقام النبوة، كيف وقد حدّثنا القرآن

الكريم عن وصول عدد من النساء إلى مقامات روحية عالية ملازمة لمقام النبوة، حيث أوحى إلى بعضهن كما هو الحال في السيدة أم النبي موسى بن عمران، والوحي وإن كان بمعنى الإلهام فإنه مرتبة عظيمة لا يبلغها - في أعلى مستوياتها - إلا الأنبياء والمرسلون حيث قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾^(١).

كما ونجد أن بعضهن قد وصلت إلى درجة كانت الملائكة تنزل لخدمتها وتأتيها برزقها من عنده الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، الأمر الذي أثار تعجب النبي زكريا عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

وهكذا فإن مريم عَلَيْهَا السَّلَام نفسها قد وصلت إلى درجة الصديقين، قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٣)، وهذه الدرجة من الدرجات الرفيعة جداً والصلبة بالنبوة، قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٤)، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٥)، وقد ورد

(١) سورة طه: ١٣.

(٢) سورة آل عمران: ٣٧.

(٣) سورة المائدة: ٧٥.

(٤) سورة مريم: ٤١.

(٥) سورة النساء: ٦٩.

في الحديث الصحيح عن أبي الحسن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَام قال: (إِنَّ فاطمةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ صَدِيقَةُ شَهِيدَةٍ) ^(١).

ثم أضاف الشيخ الخشن:

وفي ضوء ذلك يمكن القول: إنَّ عدم إرسال نبي من صنف النسّاد ليس مردّه إلى قصور المرأة عن بلوغ هذه الرتبة، بل مردّه إلى سبب آخر، وهو أن المجتمعات البشرية في الأزمنة الغابرة كانت مجتمعات ذكورية، ولم تكن لتتقبل أن يكون النبي من النساء، والنسوة أنفسهن كنّ مقتنعات بذلك، فقد حدّثنا القرآن الكريم أن امرأة عمران نذرت ما في بطنها محرراً لله سُبحانه وتعالى وكانت تقدّر أنه سيكون ذكراً، لأن المرأة لا تصلح - في نظر اليهود - لخدمة المعبد والقيام بمهمة الإرشاد الديني، ولهذا فإنّ هذه المرأة الطاهرة الجليلة لم تستوعب أن ترى مولودها أنثى! فتوجّهت إلى الله توجّهاً لا يخلو من ذهول وتحسّر قائلة: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾!! ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ ^(٢)، فكان الأنثى ليست مؤهلة للقيام بالمهام الدينية! وأمام ذهنية ذكورية مستحكمة إلى هذا الحد كان مقتضى الحكمة الإلهية أن تتم مراعاة هذا الأمر، نزاعاً للذرائع وإقامة للحجّة على العباد. وهذا غاية ما يستفاد من الآية المتقدّمة، أعني قوله: ﴿وَمَا

(١) الكليني: الكافي، ج ١، ص ٤٥٨.

(٢) سورة آل عمران: ٣٦.

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴿فَهِ لَا تَدَلُّ عَلَى نَفِي أَهْلِيَةِ الْمَرْأَةِ لِلْوُصُولِ إِلَى مَقَامِ النَّبُوَّةِ، وَإِنَّمَا تُشِيرُ إِلَى وَاقِعِ الْحَالِ وَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ السَّيْرَةُ فِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنْ إِسْرَالِ رِجَالٍ وَاخْتِيَارِهِمْ لِهَذَا الْمَقَامِ، وَلِسَانُ الْآيَةِ وَإِنْ كَانَ يُوحِي بِعَدَمِ إِسْرَالِ نِسَاءٍ لِهَذِهِ الْمَهْمَةِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَبَيِّنْ سَبَبَ اخْتِيَارِ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ لِذَلِكَ، وَهَلْ أَنْ مَرَدَّهُ إِلَى عَدَمِ صِلَاحِيَةِ النِّسَاءِ لِلنَّهْوِضِ بِأَعْبَاءِ هَذِهِ الْمَهْمَةِ، أَوْ أَنْ مَرَدَّهُ إِلَى عَدَمِ تَقَبُّلِ الْمَجْتَمَعِ الذَّكَوْرِيِّ لِهَذَا الْأَمْرِ؟ وَلَوْ سَلَّمْنَا بِأَنَّ السَّبَبَ هُوَ فِي عَدَمِ صِلَاحِيَةِ النِّسَاءِ لِتَوَلَّى هَذِهِ الْمَهْمَةِ، فَهَلْ عَدَمُ الصِّلَاحِيَةِ هَذَا نَاشِئٌ مِنْ قُصُورِهَا الذَّاتِي الْمَانِعِ مِنْ بُلُوغِهَا مَقَامَ النَّبُوَّةِ أَوْ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْ قُصُورِهَا الْعَرَضِيِّ بِسَبَبِ مَا تَعَرَّضَتْ لَهُ مِنْ تَهْمِيشٍ وَإِقْصَاءِ تَارِيخِيَّيْنِ، الْأَمْرَ الَّذِي أَفْقَدَهَا الْأَهْلِيَّةَ لِتَوَلَّى هَذِهِ الْمَهْمَةِ وَجَعَلَهَا غَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى بُلُوغِ الْمَقَامَاتِ الرُّوْحِيَّةِ وَالْمَعْرِفِيَّةِ الَّتِي يَتَطَلَّبُهَا مَوْقِعُ كَمَوْقِعِ النَّبُوَّةِ؟ إِنْ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ سَاكِنَةٌ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ، وَلَا يُمْكِنُ إِسْقَاطُ أَحَدِ هَذِهِ الْإِحْتِمَالَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِقَرِينَةٍ أَوْ دَلِيلٍ، وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ التَّأَكِيدَ عَلَى أَنَّ عَدَمَ اخْتِيَارِهَا لَيْسَ نَاجِئًا مِنْ قُصُورِهَا الذَّاتِي عَنْ بُلُوغِ مَقَامِ النَّبُوَّةِ، وَدَلِيلُنَا عَلَى ذَلِكَ هُوَ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ قَبْلَ قَلِيلٍ مِنْ وَصُولِ بَعْضِ النِّسَاءِ إِلَى أَعْلَى الْمَقَامَاتِ وَالْكَمَالَاتِ الرُّوْحِيَّةِ الْمَلَاذِمَةِ لِمَقَامِ النَّبُوَّةِ^(١).

(١) الخشن: المرأة في النص الديني، قراءة نقدية في روايات م المرأة، ص ٧٢-٧٤.

وخلاصة ما يمكن أن يُقال في المقام، أننا إذا التزمنا بصحّة النتيجة التي توصلنا إليها بكون **الأسباط** الذين تحدّث عنهم الآيات القرآنية هم «القضاة» المذكورون في سفر القضاة، وأن أحدهم دبورة، فهذا يجعلنا نحتمل أن تكون هذه السيدة من النبيين، لا سيّما وأننا حين نقرأ ذلك السّفر والجزء الخاص بقصة هذه السيدة، نجد أن بني إسرائيل ينقادون إليها ويتقبّلون إمرتها ويقولون بنبوّتها... إلا أن يُقال أن الآية أرادت مجمل الأسباط لا كلهم فرداً فرداً، وبالتالي نستثنيها من سلسلة النبيين والرسل، أو أن نقول بأن مجرّد ذكر الأسباط بين النبيين والرسل لا يعني بالضرورة أنهم كانوا منهم، بل أنّهم بلغوا شأناً رفيعاً فضرب الله بهم المثل وقدمهم كنماذج يعرفها أهل الكتاب وفي سياق ما جاءت به الآيات القرآنية المختلفة من قضايا أرادت أن تُقيم بها الحجّة عليهم، والله أعلم بحقيقة الحال.

خلاصة وخاتمة

بعد هذا العرض للبحث، يمكن تقديم التلخيص التالي للنتائج التي تمّ التوصل إليها بغرض معرفة دلالة كلمة **الأسباط** في القرآن الكريم والمستعملة أيضاً في الحديث النبوي المروي بأكثر من لفظ ومن بينها: (الحسن والحسين سبطان من الأسباط).

١. ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ في كتابه الكريم **الأسباط** في أربعة موارد، وكلها من السور المدنية، واستعمل الكلمة مرة واحدة من دون (ال) في سورة الأعراف المكية، والمعنى المراد فيها يختلف عن المراد في الآيات المدنية والتي ذكرتهم في مصاف النبيين والمرسلين والموحى إليهم من قبل الله.

٢. ومن خلال جمع مضمون الحديث السابق مع الآيات القرآنية سيكون

مفاد قول النبي ﷺ للمسلمين: لقد عَلِمْتُمْ أَمْرَ الْأَسْبَاطِ.. إِنَّ شَأْنَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ كَشَأْنِ الْأَسْبَاطِ.

٢. بالرجوع إلى العهد القديم من الكتاب المقدس، سنجد بعد التوراة وسفر يشوع «يوشع بن نون» وصي موسى، سفرًا بعنوان «سفر القضاة»، وبالعودة إلى الأصل العبري لعنوان هذا السفر، تبين أنه «شوپطيم أو شوفطيم» جمع «شوپط أو شوفط»، أي سفر **الأسباط**.

٤. ونجد في «التفسير التطبيقي للكتاب المقدس» جدولاً يشتمل على عدد وأسماء هؤلاء القضاة، وهم اثنا عشر، أحد عشر رجلاً بالإضافة إلى امرأة واحدة!

٥. وكان النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَام قبل وفاته قد أوصى بني إسرائيل بالأخذ بالتوراة وبالاتقياد لوصيه يوشع بن نون، وحذّرهم من الشرك بالله. وجاء الأسباط من بعد يوشع فتحملوا مسؤولياتهم تجاه بني إسرائيل.

٦. وهكذا، فإننا لو رجعنا إلى التاريخ بالترتيب، سنجد النبي موسى، فوصيّه يوشع بن نون، فأحد عشر سبطاً «قاضياً» ومعهم امرأة من **الأسباط**.. تماماً كما هو الحال مع نبينا فعلي والزهراء وأحد عشر إماماً!

٧. استعمال مصطلح «القضاة» في العهد القديم بدلاً عن كلمة **الأسباط** «شوپطيم أو شوفطيم» الْمُعَنَّونَ بها السّفَر الخاص بهم بمثابة ترجمة غير دقيقة للكلمة العبرية، حيث أنهم لم يكونوا مجرد قضاة كقضاة المحاكم، بل كانت مسؤولياتهم أكبر من ذلك، ولذا فإن كلمة «قضاة» لا تُعبّر عن حقيقتهم والدور المنوط بهم، كما أن تغيير عنوان السّفَر أربك شراح الآيات القرآنية

التي وردت فيها كلمة **الأسباط**، وكذلك الحديث النبوي السابق وضِعَّ المراد الحقيقي من كل ذلك.

٨. كان **الأسباط** أولياء بني إسرائيل من بعد موسى ووصيه يوشع بن نون، والهداة لهم، وحملة الرسالة، وحفظة الدين، والمقاتلين في سبيل الله.. أي أنهم مع نبي الله موسى ووصيه يوشع: أربعة عشر هادياً إلى الله وأميناً على الرسالة وقائداً وولياً.

٩. ربط النبي الأكرم ﷺ صفة الحسن والحسين بأولئك **الأسباط** من بني إسرائيل، وكأنه يقول للمسلمين: إن الحسن والحسين في الولاية والهداية وحمل الرسالة والحفاظ على الدين والدفاع عنه وتقديم التضحيات في سبيل الله بمثابة أولئك **الأسباط**.. فهما من الأربعة عشر أنوار الولاية والهداية، رسول الله محمد ﷺ، فأمر المؤمنين علي، فالزهراء فاطمة، فالحسن والحسين فالأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام.

١٠. عملت ترجمة التراث العبري للكتب السماوية وغيرها إلى اللغات المختلفة، وكذلك تبديل بعض الكلمات بكلمات أخرى، على ضياع مجموعة من الحقائق والمفاهيم على مدى مئات السنين، والتي كان بإمكانها أن تُرشد إلى بعض ما يشير إليه القرآن الكريم، كما في الآيات التي تحدّثت عن **الأسباط**، وما أشار إليه النبي ﷺ في حديثه إذ قال: (الحسن والحسين سبطان من الأسباط)، وهذا ما يتطلّب من المحققين واللغويين أن يبذلوا المزيد من الجهود من أجل فك رموز بعض القضايا التي ما زال يكتنفها الغموض، ويمكن لها أن تفتح لنا آفاقاً جديدة من المعارف الدينية التي يزخر بها كتابُ الله عزَّ وجلَّ.

مصادر الكتاب

١. القرآن الكريم
٢. الكتاب المقدس
٣. الأماشي: السيد المرتضى
٤. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد الزبيدي
٥. التبيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي
٦. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور
٧. تحفة الأحوذ في شرح سنن الترمذي: محمد المباركفوري
٨. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: مجموعة من المؤلفين
٩. التوحيد: محمد بن علي الصدوق
١٠. جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن جرير الطبري
١١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل البخاري
١٢. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي
١٣. الدر المنثور: جلال الدين السيوطي
١٤. السنن: محمد بن يزيد بن ماجه
١٥. السنن: محمد بن عيسى الترمذي
١٦. شرح إحقاق الحق: شهاب الدين المرعشي النجفي
١٧. شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي
١٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان
١٩. صحيح الأدب المفرد للبخاري: ناصر الدين الألباني
٢٠. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته: ناصر الدين الألباني

٢١. الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي
٢٢. كامل الزيارة: جعفر بن قولويه
٢٣. لسان العرب: ابن منظور
٢٤. مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي
٢٥. الخشن: المرأة في النص الديني، قراءة نقدية في روايات ذم المرأة
٢٦. المستدرک على الصحيحين: الحاكم النيسابوري
٢٧. المسند: أحمد بن حنبل
٢٨. المسند الصحيح (صحيح مسلم): مسلم بن الحجاج القشيري
٢٩. معالم المدرستين: مرتضى العسكري
٣٠. من وحي القرآن: محمد حسين فضل الله
٣١. الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي

الكتب الأجنبية

1. A Brief Introduction to the Old Testament: The Hebrew Bible in Its Context: Michael David Coogan
2. A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament: Francis Brown (Technical Editor), Edward Robinson (Translator).

المواقع الإلكترونية

1. almoneer.org
2. www.chabad.org
3. www.erfan.ir
4. st-takla.org

